



دَرَاَسَات عَرَبِيَّة وَإِسْلَامِيَّة

دورية علمية محكمة

يوليو ٢٠١١م

العدد الخامس (٥)

دراسات عربية وإسلامية

المحبة بين المؤمنين في البيان النبوى دقائق وأسرار بلاغية

دكتور

على محمد عبد الرحيم محمد على

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر الشريف

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل المؤمنين بنعمته إخواناً وعلى الخير والتقوى أنصاراً وأعواناً بالإسلام تجمعوا وعلى هديه تألفوا يرجون من الله المثوبة والرحمة ويحاذرون المقت والنقمة فلمه البشري بالذكر الجميل والنعيم المقيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين جعل المتحابين في جلاله من أهل الرحمات وبشرهم بأعطر البشريات ومنحهم جزيل المثوبة وأعلى الدرجات ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه قد جمع الله به القلوب بعد شتاتها وألف بدعوته أقواماً كانوا يلجون في غياهب الفرقة والأحقاد فصاروا من أطيب الخلق وأكرم العباد .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين . أما بعد ...

فإن المحبة هي رأس مال المجتمع المسلم وأجمل صورة تلك التي تنبئ عن الوئام والتلاقي بين أفراد المؤمنين وهي أعلى من لقمة الخبز وجرعة الماء إنها طبيعة العلاقة المنشودة في ظلال هذا الدين الذي يأمرنا بها ويحذرنا من التباغض والتنافر ويرصد الحوافز من عطاء الثواب للمتحابين في جلال الله رب العالمين في الدنيا والآخرة وفي الحديث القدسي قال الله تبارك وتعالى {وجبت محبتي للمتحابين فيّ وللمتجالسين فيّ وللمتزاورين فيّ وللمتباذلين فيّ} ^(١) إن طبيعة الحب المقسوم بين قلوب المؤمنين ما هو إلا رزق موهوب من الله الوهاب القائل في كتابه الكريم { وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } ^(٢) . وقال تعالى { فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً } ^(٣) .

(1) مسند أحمد بن تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ٣٦٠/١٣٦ ط مؤسسة الرسالة ط ثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م وموطأ مالك تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ١٣٩١/٥ ط مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان ط أولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

(2) سورة الأنفال من الآية رقم ٦٣ .

(3) سورة آل عمران من الآية رقم ١٠٣ .

والإيمان هو رابط القلوب بالمحبة قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

إن كل ما يبذله الناس من علامات الحب بينهم زائلة إذا لم تكن مؤسسة على الحب في الله تعالى فقد تنصرم عري المودة بين الشركاء بمجرد فض الشراكة التجارية وتنتهي العلاقة بين الجيران بالتحول إلى مسكن بعيد ولو بعداً يسيراً والزمالة في العمل تنقطع أو اصرها بانقطاع أحدهم عن دوامه فالناس في لجة سفر لا تستقر بهم مراكبهم في أمر المشاعر على شواطئ السلامة والاطمئنان وعلى ذلك فالمحبة بين الناس مقطوعة إلا ما كان منها لله تعالى فهذا هو الحب الباقي بين قلوب المحبين ذلك لأن أسباب هذا الحب لا تزول لا في الدنيا ولا في الآخرة وهذا هو المذاق الأثير الذي لا يعرفه إلا أهل الإيمان قال صلي الله عليه وسلم " .. وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ... " ^(٢) وأسمى العلاقات الإنسانية ما كان منها مجرداً بعيداً عن المصالح والمآرب والرغائب وهو تعبير صادق عن عمق المودة وبقيائها وعن كونها مثلاً من الوصل الجميل الذي يعد في الآفاق قدوة لأهل الإيمان والمعضلة التي يصورها الواقع في الإطار السلبي أن كثيراً من الناس قد تعودوا أن يصلوا غيرهم لأسباب قد لا تدوم بل وينصرم هذا الوصل مع غياب أسبابه في السفر أو الحضر إلا أن الإيمان له في حياة القلب منطق آخر فقد أسفر الحب عن وجهه الأغر بين أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم في خير القرون بعد هذه المؤاخاة الإيمانية التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً إلا في عالم الخيال لقد كان الحب في الله رائد هذه العلاقات التي سمت في ذراها حتى تشابهت في بعض صورها بنعوت الملائكة الأطهار ، والمؤمنون في هذا الزمان في أمس الحاجة إلى المحبة أكثر من أي وقت

(1) من سورة التوبة الآية رقم ٧١ .

(2) صحيح البخاري باب حلاوة الإيمان تحقيق محمد زهير ناصر الناصر ط دار النجاة ط أولي ١٤٢٢ هـ وصحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ط دار الجبل + دار الآفاق الجديدة ببירות .

مضي ففي ظل هذا الجو الذي جفت فيه المشاعر وتعالّت فيه أصوات الشهوات والشبهات ومع شدة احتكاك النفس البشرية بعوامل ضجر وضيق نفسي قد باشر القلوب بجيوش مسلحة بالهم والاختناق ورغم ذلك فأصوات المدعين زوراً احتواء المحبة بين قلوبهم قد عجت بهم الآفاق وضجرت منهم النفوس من أصوات زاحفة نابحة إلى الأسماع من القينات والمخنثين فما أكثر ما يغني للحب ويكرر الكثير من شبابنا وفتياتنا كلمات هؤلاء الفنانين دون أن يمس شفاف القلوب منه ريّ يشفي عطش الأرواح إلى نسمات الحب الصادق في ظل هذا الجو المفعم بالكلمات دون المعاني تشتاق الروح فيه إلى سلامتها وهداها بتذوق المحبة الرائقة بين القلوب المؤمنة فيتجدد بذلك شبابها وتستقيم به حياتها ولما كانت الحاجة ماسة إلى المحبة بيننا حتى نطبق الصورة الجميلة التي رسمها لنا النبي العظيم صلي الله عليه وسلم في بيانه الواصف لكل المؤمنين حين يقول : "المؤمن ألف مألوف ولا خير من لا يألّف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس"^(١).

ولما كان المجتمع بدون هذا الحب سيتحول إلى مجتمع غابة يأكل القوى فيه الضعيف وتذوب فيه أجمل الأواصر الحافظة لأسباب تماسكه بل أسباب بقائه ذلك حين تعصف أهواء الكراهية بمجامع القلوب فتريدها إلى مواطن تهلكتها كما قال نبينا الأعظم - صلي الله عليه وسلم - " دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم ؟ أفشوا السلام بينكم"^(٢).

-
- (1) مسند الشهاب القضاعي تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي ١٠٨/١ ط مؤسسة الرسالة بيروت ط ثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م وينظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني ٢/٢٩٥ ط دار إحياء التراث العربي وينظر ميزان الاعتدال للذهبي تحقيق على البجاوي ٣/٢٤٨ ط در المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .
- (2) سنن الترمذي تحقيق أحمد شاکر وآخرين وبتذييل الأحكام للألباني ٤/٦٦٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

وتخيل طعم العلاقات بين الناس بلا مشاعر طيبة من الإحساس الراقي الصادق بفيض المحبة إنه بلا شك سيكون في غاية المرارة وهناك من الناس من تنطبق عليهم هذه الصورة السلبية التي لم يرضها لنا رسولنا الكريم - صلي الله عليه وسلم - لما كان ذلك كذلك وكان للمحبة بين المؤمنين مكانتها في الدين من أنها ركن العبادة الأعظم والتي لا تصلح الأعمال ولا تصح بدونها كان الدافع إلى دراسة أحاديث من البيان النبوي الشريف فلقد أولتها السنة النبوية اهتماماً بالغاً ولذا وجدت نفسي مشدوداً إلى دراسة هذا الجانب للوقوف على دقائق وأسرار التعبير النبوي الشريف في حديثه عن المحبة بين المؤمنين وكيف تناولها الرسول الكريم ووضّحها وندب المؤمنين إليها ورغب فيها وكيف عبّدَ طريقها ويسر سبيلها وأغلي من قيمتها وأعلى من مكانتها وكيف جعلها من علامات الإيمان وشرطاً في تحقيقه وكيف جعلها وسيلة لاستكمالها وطريقاً لاكتساب حلاوته وكيف سوّى بين المحب والمحبوب وجعلهما بمنزلة واحدة بسبب الحب وإن قصر أحدهما عن الآخر في العمل وكيف رتب الأجر العظيم عليها وكيف جعلها سبباً لحصول محبة الله تعالى ، كل هذا وغيره قد دفعني إلى تلمس البلاغة النبوية في أحاديث شريفة عنيت بالحديث عن المحبة بين المؤمنين وكان عنوان هذا البحث هو : " المحبة بين المؤمنين في البيان النبوي - دقائق وأسرار بلاغية - " .

هذا .. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في أربعة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد وتعبقها خاتمة وقد تحدثت في التمهيد عن تعريف المحبة في اللغة والاصطلاح وتحدثت فيه عن أسماء المحبة وأنواعها وعن الضابط الشرعي للمحبة وعن طبيعة العلاقة بين المؤمنين وعن شروط المحبة وواجباتها أما المباحث :

فالأول بعنوان : صفة المحبة ومقتضياتها ويحتوى على :

أولاً : صفة المتحابين .

ثانياً : وجوب الإعلام بالمحبة .

ثالثاً : تعليق الأفضلية على شدة المحبة .

والمبحث الثاني بعنوان : المحبة من علامات الإيمان ويحتوى على :

أولاً : المحبة وسيلة لاكتساب الإيمان .

ثانياً : المحبة شرط في تحقيق الإيمان .

ثالثاً : المحبة وسيلة لاستكمال الإيمان .

رابعاً : المحبة وسيلة لاكتساب حلاوة الإيمان .

والمبحث الثالث بعنوان : خصال تستوجب المحبة ويحتوى على :

أولاً : الهدية من موجبات المحبة .

ثانياً : الزهد من موجبات المحبة .

والمبحث الرابع بعنوان : ثمرات المحبة وفوائدها ويحتوى على :

أولاً : المحبة تجعلك بمنزلة من تحب .

ثانياً : ترتيب الأجر العظيم على المحبة .

ثالثاً : المحبة سبب لحصول محبة الله .

ثم كانت خاتمة البحث وقد ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج وفوائد .

هذا .. ولقد بذلت في هذا البحث وسعي وطاقتي - يعلم الله - ولا أملك إلا أن أضرع إلى الله الرحمن الرحيم أن يرزقنا حبه وحب نبيه - صلي الله عليه وسلم - وحب عبادته المؤمنين وحب كل عمل يقربنا إلى حبه وأن يجعل لنا لسان صدق ومحبة في الآخرين .

إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو نعم المولي ونعم النصير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

علي محمد عبد الرحيم محمد علي

المدرس في جامعة الأزهر الشريف

التمهيد

يجدر بالباحث المجدّ أن يقدم للموضوع الذي يبحث فيه بمقدمات مفهّمة يبين بها عن المعاني التي اختصرت في المصطلحات التي يتناولها بحثه ليكون عملاً بمقتضى نعمة البيان معيناً على متابعة السير قدماً في هذا البحث ومن هذا القبيل أجدني معنياً بالوقوف على مفهوم المحبة في اللغة والاصطلاح فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : المحبة في اللغة :

جاء في معاجم اللغة " الحاء والباء أصول ثلاثة " أحدها اللزوم والثبات أما اللزوم فالحب والمحبة اشتقاقه من أحبه إذا لزمه والمحبة : البعير الذي يحسر فيلزم مكانه ^(١) وجاء في لسان العرب " الحب نقیض البغض والحب الوداد والمحبة ، وكذلك الحب بالكسر وأحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس هذا الأكثر وقد قيل مُحَبٌّ على القياس وحكي سيويه حبيته وأحبيته بمعنى ... والمحبة أيضاً اسم للحب والحباب بالكسر المحابة والمودة والحب ^(٢) ، وأصل المحبة الصفاء تقول العرب لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبيب الأسنان وقيل مأخوذ من الحباب وهو غليان القلب وهيجانه للقاء المحبوب مأخوذ من حباب الماء : ما يعلو الماء عند المطر الشديد وقيل مشتقة من اللزوم والثبات ومنه حب البعير إذا برك فلم يقم كأن المحب قد لزم قلبه محبوبه فلم يرم عنه انتقالاً وقيل مأخوذة من الحب جمع حبة وهو لباب الشئ وخالصة وأصله فإن

(١) ينظر مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبدالسلام هارون ٢١/٢ ، ٢٢ بتصرف ط دار اتحاد الكتاب العربي ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

(٢) لسان العرب ٢٨٩/١ ط دار صادر بيروت وينظر جواهر القاموس للزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين ٢١٢/٢ وما بعدها ط دار الهداية ، وتهذيب اللغة للأزهري تحقيق محمد على معوض ٨/٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط أولى ٢٠٠١م .

الحب أصل نبات الشجر وقيل بل هي مأخوذة من حبة القلب وهي سويداءة ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها إلي حبة القلب ^(١) .

ثانياً : المحبة في الاصطلاح :

كثر كلام الناس في وصف المحبة فقد قيل هي ميل القلب للمحبوب وموافقة الحبيب في وجوده وغيبته وأن يستولي ذكر المحبوب على قلب المحب وأن تهب نفسك وروحك لمن أحببته وألا تفكر في أحد غيره وأن تغار عليه وتحفظ حدوده وأن يعمي القلب عن رؤية غيره وقد عرض ابن القيم لهذه المعاني حيث قال "وأما كلام الناس في حدها فكثير فقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل إثثار المحبوب على جميع المصحوب وقيل استيلاء ذكر المحبوب على قلب المحب وقيل حقيقتها أن تهب كلك لمن أحببته فلا يبقى منك شيء ... وقيل هي بذلك المجهود فيما يرضي الحبيب وقيل هي سكون بلا اضطراب واضطراب بلا سكون فيضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى حبيبه ^(٢) وقال أبو السعود " ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب ثم قال ومحبة الله العبد سبحانه إرادة طاعته في أوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مرضاه ^(٣) وقال البيضاوي " المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال إدراك فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه ^(٤) وبالنظر إلى هذه التعريفات نجدها تصب في بوتقة واحدة وتلتقي حول معان متقاربة بحيث لو قلبتها تجدها كلها تدور حول علاقة عظيمة بين المحب والمحبوب ونسيان حظ النفس أمام مراد المحبوب وقد أجمل القول الإمام ابن القيم حين قال " لا تحد المحبة بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ^(٥) .

(١) ينظر روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم تحقيق عبدالله المنشاوي ص ١٦ ط مكتبة الإيمان المنصورة ، وينظر مدارج السالكين لابن القيم تحقيق محمد حامد الفقي ٩/٣ ، ١٠ ط دار الكتاب العربي بيروت ط ثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، وينظر الحب بين الله وعباده - نبيل عطوة ٣/١ .

(٢) روضة المحبين ص ١٨ .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبو السعود ١٨٥/١ ط دار الفكر بدون .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١٥٧/١ ط مطبعة الحلبي بمصر ط ثانية ١٩٦٨ م .

(٥) مدارج السالكين ٩/٣ .

ثالثاً : أسماء المحبة :

يقول ابن القيم " لما كان الفهم لهذا المسمي أشد وهو بقلوبهم أعلق كانت أسماؤه لديهم أكثر وهو عادتهم في كل ما اشتد الفهم له أو أكثر خطورة على قلوبهم تعظيماً له أو اهتماماً به أو محبة له وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب فوضعوا له قريباً من ستين اسماً منها : المحبة ، والعلاقة والهوي ، والصبوة ، والصبابة ، والشغف ، والمقة ، والوجد ، والكف والتتميم ، والعشق ، والجوى والدفن ، والشجو ، والشوق ، والخلابة والتباريح ، والغمرات ، واللاعج ، والأرق ، واللمم ، والخليل ، والريسيس . الداء المخامر ، والود ، والخلّة ، والخلم ، والغرام ، والهيام ، والتدليه ، والوله ، والتعبد إلى غير ذلك^(١) .

رابعاً : أنواع المحبة :

يقول ابن القيم وههنا أربعة أنواع من الحب يجب التفريق بينها وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها أحدها : محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز بثوابه فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله .
الثاني : محبة ما يحب الله وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدّهم فيها .
الثالث : الحب لله وفيه وهي من لوازم محبة ما يحب الله ولا يستقيم محبة ما يحب الله إلا بالحب فيه وله .

الرابع : المحبة مع الله وهي المحبة الشركية وكل من أحب شيئاً مع الله لا الله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذ هدماً من دون الله وهذه محبة المشركين وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه وهو المحبة الطبيعية وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم والزوجة والولد فتلك لا تنم إلا إن أهلت عن ذكر الله وشغلته عن محبته كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَاكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }^(٢) .

(١) روضة المحبين ص ١٧ .

(٢) سورة المنافقون الآية ٩ وينظر الداء والدواء لابن القيم تحقيق لجنة التحقيق بمؤسسة الهدى ص ١٩٦ ط دار التقوي للتراث ط أولي ٢٠٠٠ م .

والذي يعينني من هذه الأنواع النوع الثالث : الحب لله وفيه والتي هي من لوازم محبة الله تعالى ومن لوازم العبودية ومتطلباتها فكل حب في الله والله كحب الإخوان والصالحين متفرع من حب الله تعالى وشرط من شروط استكمال الإيمان كما جاء في الحديث " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله الحديث " (١) .

قال صاحب الإحياء " الحب في الله هو كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله " (٢) وبهذا تكون المحبة " أصل كل خير في الدنيا والآخرة كما قال سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة " (٣) .

خامساً : الضابط الشرعي للحب والبغض :

الحب والبغض من طبيعة الإنسان ومن صفاته المتأصلة فيه لا مفر منها ولا عاصم عنها ولن يخلو إنسان من حب أو بغض فقد وجد الحب مع أبينا آدم عليه السلام وكان الحب والبغض بين أولاده سبباً في قتل قابيل هابيل وشربت الأرض دم أول قتيل نتيجة حب القاتل لحسن حظ المقتول فتولد البغض لأخيه الذي أنتج القتل وهكذا ليتسلط الحب والبغض على النفس فتصدر الأعمال والأقوال تبعاً لهما يصدر عن الحب الائتلاف والمودة والتعاون والرحمة فتسعد الجماعات والأمم والأفراد ، ويصدر عن البغض القطيعة والهجران والتفرقة والاختلاف والخذلان والقسوة والشدة فتتفرق الجماعة وتفسد الأمم وكثيراً ما يسير الإنسان وراء هواه في حب الناس وبغضهم ويحكم أغراضه في الرضا عنهم أو كرههم ولا يوجه حبه وبغضه في وجه الحق والدين والعقل لهذا كله

(1) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ٢٠/١ ، صحيح مسلم باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ٤٨/١ .

(2) إحياء علوم الدين - الغزالي ١٦٤/٢ ط دار المعرفة بيروت .

(3) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم تحقيق عمر بن محمود أبوعمر ٤٧٦/١ ط دار ابن القيم الدمام ط ثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، وينظر مدارج السالكين ٣١٧/٢ .

وضع الإسلام ميزانا للحب والبغض وحد حدوداً للرضا والسخط حتى لا تضيق الحقوق وبفني الأفراد بين حب أعمي وبغض عقيم لهذا يضع الإسلام الميزان الحق في الحب والبغض يمنع شرهما ويجعلهما سلاحين من أسلحة الحق والعدل وإسعاد الأفراد والأمم فالميزان الحق في ذلك أن يكون حبك وبغضك لله فأنت تحب الله وتبغض في الله تحب المؤمنين الصالحين وتبغض الكافرين المفسدين تحب أولياء الله وتبغض أعداء الله تحب من أحب الله ولو خالف آراءك وتبغض من يبغضه الله ولو وافقك أحياناً والإسلام يربط أتباعه برباط الحب الذي يوجد المجتمع المتحاب ورسول الله - صلي الله عليه وسلم - يعلن عن الوسائل التي تقوى الحب وتزيده ؟

والحب ليس كلمة تقال وإنما هو واقع يعيشه المحب لحبيبه نصح وإرشاد بذل وعطاء تضحية وإيثار تفقد ودعاء إنها معان عظيمة تظهر على المتحابين ولهذا لما كان هذا العمل عظيماً كان الجزاء عليه كبيراً من الرحمن الرحيم لما كانت المحبة بتلك المنزلة جاء الإسلام ليهذبها ويجعل هذا الرباط من أجل الله ليس الحب والبغض فقط بل والموالاة والمعاداة وهكذا الحياة كلها الله { قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... }^(١) وقد امتن الله عز وجل بهذا التأليف للقلوب قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا }^(٢) وقال جل وعلا { وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ... }^(٣) { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ }^(٤) .

هذه المحبة امتدت لتشمل من رأيناهم ومن لم نرهم تأمل في تلك الآية { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ

(1) سورة الأنعام الآية ١٦٢ .

(2) سورة آل عمران الأيتان ١٠٢ ، ١٠٣ .

(3) سورة الأنفال من الآية ٦٣ .

(4) سورة الفتح من الآية ٢٩ .

فِي قُلُوبِنَا غُلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ^(١) فسبحانك ربي محبة تربط أجيالاً بأجيال أخرى لم يحصل بينهم أي تلاقٍ للأجساد بل جمعتهم المحبة في الله يجلس النبي - صلي الله عليه وسلم - مع أصحابه فيقول " وددت أن قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد " ^(٢) تأمل النبي - صلي الله عليه وسلم - يحبك أنت ويشتاك إليك .

سادساً : طبيعة العلاقة بين المسلمين :

الصلة بين المسلمين أكبر من أن تكون مواطنة أو مرافقة بالمعني الضيق المتداول بين الناس الآن فالرفيق قد يكون زميلاً في مرحلة محدودة من مراحل الحياة والمواطن قد يكون صاحب في نطاق الانتفاع بقطعة أرض التي تسمى وطناً أو في نطاق الالتزام بطبيعة الجوار وحقوقه لكن الإسلام يقيم الصلة بين المسلمين على الإخاء الوثيق وهو إخاء تزدهر فيه عراقة النسب الإنساني كما تزدهر فيه حقائق الرسالة الإسلامية وما تفرضه هذه الرسالة على معتققيها من مشاعر ومناهج أركان الأخوة والإخاء الخالص لله الذي تغذية شعب الإيمان والذي تمسكه أهداف الدعوة والذي تنميه على السراء والضراء مراحل الجهاد لله ورسوله هذا الإخاء هو روح الإسلام ولب نظمه وشرائعه وقوام جماعته وحكومته قد يتعاشر شخصان على ما قل أو أكثر من مشاعر الحياة الرخيصة أو الغالية أما الأخوة التي يرتفع عليها صرح المجتمع الإسلامي وتتماسك لبناته بقوتها فيجب أن تكون بل لا تقبل حتى تكون لله وحده والأخوة المعنية هنا ليست شعاراً أجوف إنها شركة روحية ومادية على الوفاء بتعاليم الإسلام وإنفاذ وصاياه وإيلاغ هداياته هي الالتقاء على هذه الأعمال وتحمل ما تستوجب من جهد أو غرم وما تستتبع من ألم أو سرور هي تلوين العاطفة الإنسانية بالحب والبغض تبعاً لما يصيب الإسلام من خير أو شر ثم توجيه السلوك العام وفق ما تقضي به هذه الأخوة الیقظة وقد جاءت في سنة رسول الله - صلي الله عليه وسلم - أحاديث كثيرة لتمحيص الأخوة لله وإقامتها

(1) سورة الحشر الآية ١٠ .

(2) صحيح مسلم باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ١٥٠/١ .

على مواريث الدين وغاياته ونفي المآرب الدنيوية عنها وبذلك وحده تتكون أمة مخلصه لرسالتها حريصة على إنجاحها تعيش بها وتعيش لها ولا ترضي سواها موضوعاً ولا عنواناً^(١) .

سابعاً : شروط المحبة :

حتى تكون المحبة خالصة مأجوراً عليها صاحبها لابد أن يراعي فيها أمور لو لم تتحصل كانت المحبة عبئاً على صاحبها وربما جرت عليه وبالأف في دنياه وعقاباً في أخراه هذه الأمور شروط لا تصلح المحبة ولا تصح بدونها هي :

١- أن تكون المحبة لله تعالى فكل عمل لغير الله لا يقبله الله ومعني كونها لله أنها لا تتأثر ببياض ولا سواد أو حزب أو جماعة أو بلد أو عرق بل هي لله وحده لا شريك له .

٢- أن تكون على الطاعة فالحب لله طاعة لله فهل تستغل طاعة الله الشيء المحرم.

٣- أن تشتمل على التناصح فالمؤمن ناصح للمؤمنين أجمعين والنبوي - صلي الله عليه وسلم - يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري - رضي الله عنه - " الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "^(٢) .

قال الإمام الغزالي رحمه الله " وأول شرائط الصحبة الكريمة أن تبرأ من الأغراض وأن تخلص لوجه الله وأن تولد وتكبر في طريق الإيمان والإحسان وهذا هو معني الحب لله إن الإنسان إذا رسخ في فؤاده اليقين وخالطت بشاشة الإيمان قلبه وأحس بحلاوته في مذاقه أصبح ينظر للأحياء قاطبة على ضوء العقيدة التي تمحض لها فهو يحب لمبدأ لا لشهوة ويكره لمبدأ لا لحرمان وقد تتجمع القطعان على مورد عذب أو كدر وقد يلتقي الناس على دنيا عارضة أو دائمة وربما تأسست بينهم علاقات متينة بيد أن هذا الضرب من التعارف

(١) هذا ديننا محمد الغزالي ص ١٦٩ ط نهضة مصر ط أولي .

(٢) صحيح مسلم باب بيان أن الدين النصيحة ٥٣/١ ط دار الجبل + دار الآفاق الجديدة بيروت بدون .

والتواد لا يقاس بما ينشأ بين أصحاب المثل العليا من محبة وصفاء وتعاون وتقان ولذلك احتقي الإسلام بمشاعر الصداقة النقية ورغب المسلمين في إخلاصها لله وإيقائها لوجهه وجعل لها من جميل المثوبة ما هي له أهل^(١) .

ثامناً : واجبات المحبة :

ومعني ذلك أن المحبة تقتضي أشياء ينبغي على المحب فعلها مع من يحب حتى تكتمل صورة المحبة أولي هذه الواجبات :

- ١- إخبار من تحب فعن المقداد بن معد يكرب - رضي الله عنه - عن النبي - صلي الله عليه وسلم - قال : " إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه "^(٢) .
- ٢- أن تحب له ما تحب لنفسك لحديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلي الله عليه وسلم - قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه "^(٣) .
- ٣- الهدية في سنن البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلي الله عليه وسلم - قال : " تهادوا تحابوا "^(٤) .
- ٤- إفشاء السلام .
- ٥- البذل والتزاور والمقصود بالبذل بمعناه الواسع بذل الوقت والجهد والعلم والمال .
- ٦- حرارة العاطفة ... وغير ذلك من الواجبات التي تسهم في البقاء على العلاقة وزيادتها ونمائها .

(١) خلق المسلم - محمد الغزالي ١٧٥/١ ط نهضة مصر ط أولي .

(٢) سنن أبي داود بتعليق الألباني ٤٩٥/٤ ط دار الكتاب العربي بيروت .

(٣) صحيح البخاري باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٧/١ ، وصحيح مسلم

باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير ٤٩/١ .

(٤) سنن البيهقي ١٦٩/٦ ط مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ط أولي ١٣٤٤هـ .

المبحث الأول

صفة المحبة ومقتضياتها

أولاً : صفة المتحابين :

عن النعمان بن بشير قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمي))^(١).

يبين لنا الرسول الكريم في هذا الحديث صفة المحبة بين المؤمنين وما ينبغي أن تكون عليه علاقتهم وفيه تعظيم لحقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه فنراه يدعو المجتمع المسلم إلى التواد والتصافي والتراحم ليكون المجتمع على الصورة المثلى التي تكون أنموذجاً فريداً تقتدي به كل الأمم والحديث وارد في سياق الترغيب والحض على نشر المودة والمحبة بين الناس لكنه جاء بطريقة غير مباشرة حتى لا يضع المخاطب تحت طائلة الأمر المباشر الذي ربما تستثقله النفوس أو تستكره القلوب فهو ترغيب وحض على بذل التواد والتراحم لكنه جاء في صورة عرض للنموذج الأمثل للمجتمع المسلم فكأنه يقول للمخاطبين هذه هي الصورة التي ينبغي أن يكون عليها المجتمع فاحرصوا على تحقيقها في أنفسكم ومع إخوانكم وذلك يبرز لنا عناية الرسول الكريم وحرصه على أن يصل المعني إلى المخاطب بعيداً عن طائلة الأمر المباشر في أسلوب خبري رائع خال من التوكيدات وكأنه إخبار عن أمر قد حدث وانقضي والغرض من هذه البداية الخبرية إفادة لازم الخبر التي هي الحث والترغيب في أن يكون المؤمنون بهذه الصورة ويستهل الرسول الكريم هذا الحديث بقوله : " مثل المؤمنين " قال صاحب الفروق " الفرق بين المثل والمثل أن المثلين ما تكافأ في الذات والمثل بالتحريك : الصفة قال تعالى { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ

(1) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٢٠/٨ .

الْمُتَّقُونَ^(١) { أَي صفة الجنة وقال تعالى { كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا }^(٢) وحاملوا التوراة لا يماثلون الحمار ولكن جمعهم وإياه صفة فاشتركوا فيها^(٣) . وقال ابن قتيبة " والمثل بمعنى الحال والصفة "^(٤) أي حال المؤمنين وصفتهم يقول الإمام العيني " اعلم أن المثل له مفهوم لغوي وهو النظر ومفهوم عرفي وهو القول السائر ومعني مجازي وهو الحال الغريبة واستعير المثل هنا كاستعارة الأسد للمقدام للحال العجيبة أو الصفة الغريبة "^(٥) وعلى هذا جاءت هذه الكلمة "مثل" لتفيد أن صفة المؤمن كالجسد بمعنى أنهم ليسوا بنظر الجسد في كل شيء ولا من كل وجه وإنما في تواده وتراحمه ومما يلفت الانتباه في هذا التمثيل أن المماثلة كانت في " توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم " ومعلوم أن هذه الألف في الثلاثة تفيد حدوث الفعل وصدوره من اثنين كقولنا: تصافح الرجلان بمعنى أن كل واحد منهما قد مد يده لمصافحة الآخر ، قال ابن قتيبة - رحمه الله - " تأتي تفاعلت من اثنين بمعنى افتعلت تقول تضاربنا بمعنى اضطربنا وتقاتلنا بمعنى اقتتلنا وتجاوزنا بمعنى اجتوزنا وتلاقينا بمعنى التقينا "^(٦) .

وفي إضافة المثل للمؤمنين ما يوحي بأن هذا الخبر عند إطلاقه يتوجه إلى الصفوة الذين هم قوام المجتمع فقد خاطبهم بأحب الصفات إليهم وأقربها إلى قلوبهم وهي صفة الإيمان ولعل الألف واللام في المؤمنين للدلالة على معني الكمال أي الكاملون في الإيمان ، وعلى ذلك فصفات التواد والتراحم والتعاطف بهذه الصيغة - تفاعل - جاءت لتؤكد ضرورة أن تتطلق تلك الصفات من كل فرد في مجتمع الإيمان مع إخوانه وتوجه كل جماعة بهذه المعاني إلى أختها فلا تقتصر هذه المعاني على طائفة تتمثل بها وحدها في حين لا يشعر الآخرون في

(1) سورة الرعد من الآية ٣٥ .

(2) سورة الجمعة من الآية ٥ .

(3) ينظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٣٢٦/١ .

(4) تأويل مشكل القرآن ص ٤٦٦ ط دار التراث بالقاهرة .

(5) عمدة القاري ٢٠/٢ .

(6) أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ٣٥٨/١ ط المكتبة التجارية مصر ط

رابعة ١٩٦٣م

مجتمع الإيمان بهذه المعاني ولا يلقون لها بالاً فضلاً عن أن يضمروا العداة والاستعلاء وعلى هذا تظهر أهمية هذه الصيغة في تلك المعاني لتجعل المؤمنين كالجسد الواحد قال ابن الجوزي "جعل المؤمنين كجسد واحد لأن الإيمان يجمعهم كما يجمع الجسد الأعضاء فلموضع اجتماع الأعضاء يتأذى الكل بتأذي البعض وكذلك أهل الإيمان يتأذى بعضهم بتأذي بعض^(١) وهذه الصفات الثلاث - التواد والتراحم والتعاطف - قيل إنها متقاربة في المعنى لكن يظهر بينها فرق لطيف قال ابن حجر " قال ابن أبي جمرة أما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شئ آخر وأما التواد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف طرف الثوب عليه ليقويه"^(٢).

وقوله - صلي الله عليه وسلم - " توادهم " التواد بتشديد الدال والأصل التوادد فأدغم والتواد تفاعل من المودة وهي المحبة قال ابن حجر " والود والوداد بمعنى وهو تقرب شخص من آخر بما يحب "^(٣) أما بالنظر في معاجم اللغة فقد ذكر ابن فارس " ود : الواو والدال كلمة تدل على محبة وودته أحببته ووددت أن ذاك كان إذا تمنيته أو د فيهما جميعاً وفي المحبة الودّ وفي التمني الودادة .. فأما الودّ فالودت"^(٤) وقال الراغب " ودد الود محبة الشئ وتمني كونه ويستعمل في كل واحد من المعنيين ... والود : الودت وأصله يصح أن يكون وتد فأدغم وأن يكون لتعلق ما يشد به أو لثبوته في مكانه فتصور منه معني المودة والملازمة "^(٥) ومن هنا يبرز التعبير النبوي بهذه اللفظة كي تدل على هذه

(1) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي تحقيق على حسين البواب ٤٤٢/١ ط دار الوطن الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

(2) ينظر فتح الباري لابن حجر ٤٣٩/١٠ ط دار المعرفة بيروت ط ١٣٧٩هـ ، وينظر عمدة القاري ١٩٣/٣٢ .

(3) فتح الباري لابن حجر ٤٣٩/١٠ .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبدالسلام هارون ٧٥/٦ وما بعدها ط دار الفكر ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(5) المفردات في غريب القرآن للراغب للأصفهاني ٤٩٩/٢ وما بعدها ط دار القلم دمشق

المعاني التي أشار إليها العلماء مجتمعة في مجتمع الإيمان حتى يكون كالجسد الواحد الحي فمعني الحب واضح في حب المؤمن لأخيه المؤمن ما يحبه لنفسه في صورة نادرة لأن إيمان المؤمن لا يكمل إلا بهذه المحبة قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ^(١) ومعني التمني جلي إذ يتمني كل مؤمن لأخيه ما يتمني لنفسه من الآمال والأمان بل ويؤثره على نفسه في صورة عجيبة وهو ما امتدح الله سبحانه به المؤمنين بقوله { وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } ^(٢) ومعني الوجد نجاه في كون المؤمن بمثابة الوجد لأخيه المؤمن يشد من أزره ويقويه ويثبتته على الحق حتى يغزو هذا المجتمع كالطود الشامخ في وجه الأعاصير وهو ما أشار إليه الرسول الكريم - صلي الله عليه وسلم - بقوله "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" ^(٣) وجاء في لسان العرب " وأما قول الشاعر أنشده ابن الأعرابي وأعددت للحرب خيفانة .. جموم الجراء وقاحاً ودوداً"

قال ابن سيده معني قوله : ودوداً أنها باذلة ما عندها من الجري لا يصح قوله ودوداً إلا على ذلك لأن الخيل بهائم والبهائم لا ود لها في غير نوعها ^(٤) . فإذا كانت الفرس الودود هي التي تبذل جهدها جرياً فإن المؤمن أولى وهذا ما نجده في تواد المؤمنين حيث يبذل المؤمن وسعه في خدمة إخوانه - هذا هو المفترض - ويسعي في مصالحهم وتخفيف آلامهم كما أخبر بذلك رسول الله - صلي الله عليه وسلم - حيث قال " من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار

(1) صحيح البخاري باب من الإيمان أن يحب ما يحب لنفسه ١٧/١ وصحيح مسلم ٤٩/١ وسنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر وآخرين ٦٦٧/٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

(2) سورة الحشر من الآية رقم ٩ .

(3) صحيح البخاري كتاب الأدب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا ٢١٨/١٥ وصحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين ٢٠/٨ .

(4) لسان العرب ٤٥٣/٣

ثلاثة خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين ^(١) وهكذا لما برزت في كلمة "توادهم" كل تلك المعاني السامية فقد اختارها الرسول - صلي الله عليه وسلم - دون سواها لتمثيل حال المؤمنين بالجسد ، أما التراحم : فقد جاء في معجم مقاييس اللغة " رحم : الرأء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة " ^(٢) وفي القاموس " الرحمة ويحرك الرقة والمغفرة والتعطف كالمرحمة " ^(٣) وقال النيسابوري " الرحمة هي ترك عقوبة من يستحقها أو إرادة الخير له وأصله الرقة والتعطف " ^(٤) ومن خلال النظرة المعجمية نجد الرحمة تشتمل على الرقة والرأفة والمغفرة وترك العقوبة وإرادة الخير فمعني الرقة واضح في لين جانب المؤمنين بعضهم مع بعض حتى يصيروا كالجسد الواحد لأن الأشياء الرقيقة المطواعة حين تجتمع إلى بعضها ثلثين وتلتصق حتى تغدو كتلة واحدة لشدة تلاحمها وتماسكها فالمؤمن يلين بأيدي إخوانه كما قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - " ولينوا بأيدي إخوانكم " ^(٥) كما يدل لهم ويتواضع كما في قوله سبحانه {أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} ^(٦) وقوله {وَآخِضٌ جَنَاحُكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} ^(٧) ومعني الرأفة جلي في الشفقة على الضعفاء والمساكين كما في قوله تعالى {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} ^(٨) وإذا استقرت هذه الرأفة في

(١) المعجم الوسيط للطبراني تحقيق طارق بن عوض الله ، وعبدالمحسن إبراهيم الحسيني ٢٢٠/٧ ط دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ ، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي بتحريير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر ١٢٢/٨ ط دار الفكر بيروت ط ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٩٨/٢ .

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة رحم ١٤٣٦/١ .

(٤) غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري تحقيق الشيخ زكريا عمران ٧٧/١ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

(٥) سنن أبي داود باب تسوية الصفوف ٢٥١/١ ط دار الكتاب العربي بيروت ، وسنن البيهقي الكبرى تحقيق محمد عبدالقادر عطا باب إقامة الصفوف ١٠١/٣ ط مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

(٦) سورة المائدة من الآية رقم ٥٤ .

(٧) سورة الشعراء من الآية رقم ٢١٥ .

(٨) سورة الضحي الآيتان ٩ ، ١٠ .

الإيمان رفعت صاحبها إلى رتبة المجاهد أو الصائم القائم وبذلك أخبر الرسول الكريم - صلي الله عليه وسلم - "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى أو القائم الليل الصائم النهار"^(١) ومعني المغفرة وترك العقوبة نجده في العفو والصفح الذين تمتاز بهما أمة الإيمان حتى مع القدرة على الانتقام ولو في ساعات الغضب وهو الوصف الذي امتدح الله به المؤمنين {وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} ^(٢) وكذلك {لَوْ كُنَّ صَبْرًا وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} ^(٣) وكذلك {وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ^(٤) ومعني إرادة الخير نراه في تقديم كل نافع ومفيد تحقيقاً لقوله - صلي الله عليه وسلم - "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة"^(٥) ونراه في الإمساك عن الشر وجاء في مفردات الراغب "والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم" وهذا المعني متوفر في أمة الإيمان حيث يسعد المؤمن غاية السعادة حين يحسن إلى إخوانه بدافع الإيمان ويشعر بالنقصير أمام كل ما يقدمه مهما عظم فإذا عم الإحسان أهل الإيمان تألفت القلوب وتحولت الأمة إلى جسد واحد في سرائها وضرائها أما التعاطف فقد جاء في المعجم "العين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدل على انتشاء وعياج يقال عطفت الشيء إذا أملتة وانعطف إذا انعالج .. والرجل يعطف الوسادة يثنيها عطفاً إذا ارتفق بها ... والرداء نفسه عطاف" ^(٦) .

وقال الراغب "العطف يقال في الشيء إذا ثنى أحد طرفيه إلى الآخر كعطف الغصن والوسادة والحبل ومنه قيل للرداء المثني عطاف ... ويقال ثنى عطفه

(1) صحيح البخاري كتاب النفقات باب فضل النفقة على الأهل ٣٨٥/١٣ وصحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ٢٢١/٨ .

(2) سورة الشوري من الآية رقم ٣٧ .

(3) سورة الشوري من الآية رقم ٤٣ .

(4) سورة آل عمران من الآية رقم ١٣٤ .

(5) صحيح مسلم باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٧١/٨ .

(6) مقاييس اللغة ٣٥١/٤ .

إذا أعرض وجفا نحو نأى بجانبه وصعّر خده ... ويستعار للميل والشفقة إذا عدى بعلى يقال عطف عليه وثناه عاطفة رحم وظبية عاطفة على ولدها^(١) وقال صاحب اللسان " وتعطف عليه وصله وبرّه وتعطف على رحمه رفق لها والعاطفة الرحم صفة غالبية ورجل عاطف وعطوف عائد بفضلته حسن الخلق قال الليث العطف الرجل الحسن الخلق العطوف على الناس بفضلته ... وعطفت عليه أشفقت... وتعطف عليه أشفق وتعاطفوا أى عطف بعضهم على بعض^(٢) وهذه المعاني مجتمعة نجدتها متمثلة في أمة الإيمان فمعاني الرفق والشفقة والحنو في أبهى حللها حين يمتلئ قلب المؤمن شفقة وحنوا على إخوانه إذا مسهم بعض الضر فلا تهدأ نفسه حتى يقدم ما في وسعه لكشف ما نزل بإخوانه أما معنى الرداء فإننا نلمسه في مجتمع الإيمان وذلك حين يعطف المؤمن على أخيه فيلفه بحنائه وإحسانه فيستر عوراته ويخفي معايبه ويدفع عنه الضر والأذى تماماً مثلما يفعل المعطف بصاحبه إذ يستر عورته ويرد عنه غائلة البرد ويحميه من لفح حرارة الشمس وتتجلى روعة البيان النبوي وتظهر دقائق وأسراره في اختيار هذه الأوصاف الثلاثة التي جاءت بصيغة التفاعل الذي يستدعي اشتراك الجميع في القيام بهذه الصفات يزيد في تثبيت هذه الصفات في هذه الفئة المؤمنة إضافة ضمير الجمع لكل صيغة من صيغ التفاعل {توادهم وتراحمهم وتعاطفهم} مما يشعر بأن جميع المؤمنين متماثلون في بذل الود والرحمة والعطف ثم انظر الى اختياره - صلى الله عليه وسلم - الدقيق للمادة التي صيغت منها هذه الصفات وكلها مواد تحمل أدق المشاعر وأرق الأحاسيس فهي مواد باعثة على المحبة أو ناتجة عنها وذلك ليعلم أن مجتمع المؤمنين يربطه رباط متين تتعانق فيه القلوب وتتلاقى فيه الأرواح ولا تؤثر فيه أخلاط هذه الدنيا سعادة الفرد هي سعادة المجتمع بأسره وشقاؤه هو شقاؤهم جميعاً ثم تأتي الصورة التشبيهية لتنتقل هذا المعنى العقلي إلى صورة حسية مشاهدة تؤكد هذا المعنى وتعمق إدراكه داخل النفوس وهي قوله صلى الله عليه

(1) مفردات الراغب ١٠٢/٢ .

(2) لسان العرب ٢٤٩/٩ .

وسلم " مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " فيالها من صورة تمثيلية رائعة نقلت أخص جزئيات صورة تراحم المؤمنين فقد شبه حال المؤمنين في شدة التواصل وتأثر بعضهم ببعض بحال أعضاء الجسد إذا مرض منه عضو تألم له الباقي ووجه الشبه قوة الاتصال وسرعة التفاعل وعمق الترابط قال ابن حجر " مثل الجسد أى بالنسبة إلى جميع أعضائه ووجه التشبيه فيه التوافق فى التعب والراحة"^(١) وقال القاضي عياض " فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعانى فى الصور المرئية وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً"^(٢) وانظر إلى شدة التماثل بين المشبه والمشبّه به الذى يدل عليه حتى فى أداه التشبيه إذا لأصل "مثل المؤمنين ٠٠ كمثل الجسد" أى حالهم كحال الجسد ولكن لشدة التقارب بين الحالتين حذفت أداة التشبيه إيذاناً بأنه لا فرق بين المشبه والمشبّه به فكأنهما لشدة امتزاجهما وتقاربهما صارا كالشئ الواحد الذى لا يحتاج الى أداة رابطة بينهما والاستعارة مثلاً فى قوله " اشتكى منه عضو" تجسد هذه التواصل وتصوره أدق تصوير فقد شبه إحساس العضو من الجسد بالألم بالشكوى والتى هى التعبير عن المصيبة التى لا تكون إلا ممن يعقل ثم استعار الشكوى للإحساس بالألم ثم اشتق من الشكوى اشتكى وذلك على سبيل الاستعارة التبعية فى الفعل جاء فى معاجم اللغة الشكو والشكوى والشكاة والشكاية المرض وإظهار البث وقال ابن فارس " والشين والكاف والحرف المعتل أصل واحد يدل على توجع من شئ "^(٣) ثم الاستعارة الأخرى فى قوله تداعى " والتى هى ترشيح للاستعارة الأولى حيث شبه بقية الأعضاء فى الجسم بكائن حى يدعو بعضهم بعضاً للتضافر مع هذا العضو المشتكى ثم حذف

(١) فتح الباري لابن حجر ٤٣٩/١٠ ، وعمدة القارئ للعيني ١٩٣/٣٢ .

(٢) إكمال المعلم للقاضي عياض ٢٧/٨ ، و فتح الباري لابن حجر ٤٣٩/١٠ .

(٣) ينظر مقاييس اللغة ٢٠٧/٣ ومفردات الراغب ٥٥٢/١ ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الجزري تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ١٢٠٦/٢ ط المكتبة العلمية

بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وذلك على سبيل الاستعارة المكنية يقول الدكتور عز الدين على السيد " وألفظ اللطف في التعبير وأدق الدقة ما يحمله لفظ تداعى من عجيب المعنى فهو يخيل إليك أن أعضاء الجسد قد هبت للنجدة يدعو بعضها بعضا يناديه لإسعاف صاحبها أو موافاته ثم يجعل تتاديبها ليس الصراخ بلا مغيث وإنما هو الجواب العملى المسعف والمساعد " السهر والحمى" (١) ثم انظر إلى اتفاق جواب الشرط " تداعى" مع فعل الشرط "اشتكى" وفى مجيئهما بصيغة الماضى مما يشعر بسرعة التجاوب والمبادرة إلى النجدة فبمجرد حدوث الشكوى يحدث التداعى تلقائيا دون توان أو كسل وهذا تمثيل دقيق لحال الفئة المؤمنة كما أن فى تعلق الجار والمجور " له" بالفعل "تداعى" ما يفيد التخصيص المشعر باهتمام الجميع بأمر هذا العضو فليس التداعى لمجرد الإعلام إنما هو ليقوم كل بدوره فى إنقاذ هذا المشتكى أضف إلى ذلك ما تفيدته كلمة " سائر " من تضافر الجميع دون استثناء وهذا مما يؤكد شدة التفاعل والتآزر بين المؤمنين وبذلك ندرك أنه صلى الله عليه وسلم عندما اختار الجسد وتداعى أعضائه عند شكوى أى عضو منه وجعل ذلك مثالا لحال المؤمنين إنما اختار فى ذلك النموذج الأعلى فى شدة الترابط وسرعة التجاوب الذى جمع المؤمنين على أواصر المحبة "ليحملهم على تركية النفس وإرهاق الحس ويقظة الروح لكل من يجمع الإيمان بينهم وليرشدهم أن مجتمعهم بخير وأمتهم بانتصار ما كانوا مجتمعين لا يتصورون أنفسهم أفرادا فى انفصال شأن واستقلال حياة وإنما يرونها أعضاء جسم يصح بصحة الجميع ويمرض بمرض الواحد " (٢) .

هكذا إذا يكون تمثيل المؤمنين بالجسد لإبراز المعانى الخفية فى صورة حية كى ترتسم فى الذهن وتتطبع فى النفس وتستقر فى الواقع والسلوك قال السيوطى رحمه الله " فبحسن الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد ترصع المعانى فى

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص ١٥٥ .

(2) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص ١٥٤ .

القلوب وتلتصق بالصدر ويزيد حسنه وحلاوته وطلاوته بضرب الأمثلة به والتشبيهات المجازية" (١) .

وقد ذكر العلامة سيد قطب - رحمه الله - " أن الفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقى التأثير الديني حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع وحين تصفو النفس لتلقى رسالة الجمال" (٢) . والله أعلى وأعلم

(1) ينظر المزهر في علوم العربية وأنواعها للسيوطي تحقيق فؤاد علي منصور ٣٣/١ ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولي ١٩٩٨ م .

(2) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب ص ١١٧ .

ثانياً : الإعلام بالمحبة

عن أنس بن مالك أن رجلاً كان عند النبي - صلي الله عليه وسلم - فمر به رجل فقال يا رسول الله إني لأحب هذا فقال له النبي - صلي الله عليه وسلم - أعلمته ؟ قال : لا . قال : أعلمه قال : فالحقه فقال إني أحبك في الله فقال : أحبك الذي أحببتني له ^(١) .

في هذا الحديث الشريف يعلمنا الرسول - صلي الله عليه وسلم - أن للمحبة قيمة كبرى ينبغي أن يحتفل بها المسلمون ويولوها اهتماماً ويجعلوها شعاراً لعلاقاتهم بعضهم البعض تذكيراً بما للواحد منهم على الآخر من الحقوق التي ينبغي ألا تغفل وفي هذا الحديث الشريف يصور لنا كيف أن الصحابي الجليل يعترف للرسول الكريم بأنه يحب أخاه المسلم الذي قد مر بهما ولعل التذكير في ذكر الرجل ما يدل على عدم الاهتمام والمبالاة بالأسماء في حضرة الاهتمام بالقيم والأخلاقيات وكذلك الشأن في المحبوب المهم أن هذه العلاقة قد أثمرت حباً وإخلاصاً حتى فاض من نفس المحب فاستفز مشاعره تجاه محبوبه فلم يستطع إخفاءه أو مواراته فبادر يخبر الرسول بذلك والبيان النبوي يعرض هذا الحوار ليتعلم الناس ما الذي ينبغي فعله في مثل هذه المواقف ولنتأمل الدقائق البلاغية في قوله : إني لأحب هذا .. فقد ابتدأ الكلام بالتوكيد المشدد بـ " إن " و " اللام " وهذا يدل على صدق هذه المحبة وأنها نابعة من القلب وخالصة لله ليست لغرض دنيوي أو مصلحة شخصية وينفي عن هذه العلاقة كل ما يشوب العلاقات من مفسدات ولعل في إيراد هذه الجملة مؤكدة والمخاطب بها رسول الله - صلي الله عليه وسلم - تنزيلاً لغير المنكر منزلة المنكر أو أنه أكد لنفسه إمعاناً منه في الصدق وتذكيراً لنفسه بما لهذه العلاقة من منزلة عظيمة لديه

(١) ينظر سنن أبي داود باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه ٤/٤٩٥ ط دار الكتاب العربي بيروت و سنن النسائي تحقيق عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كروي حسن باب ما يقوله لأخيه إذا قال إني لأحبك ٦/٥٤ ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولي ١٤١١هـ - ١٩٩١م ومسند أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط ٢٠/٤٥ ط مؤسسة الرسالة ط ثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

ينبغي أن يحفظها ويقوم بحقها أو أنه أكد لنفسه اغتباطاً وابتهاجاً بإخباره الرسول الكريم بهذا الذي يجد ، وفي التعبير بالفعل المضارع "أحب" ما يساعد على ذلك وما يفيد من التكرار والاستمرار ويأتي التوجيه النبوي الشريف من الرسول الكريم - صلي الله عليه وسلم - مؤكداً لهذا الرجل أن هذه المحبة ينبغي أن تكون معلومة لدي الطرف الآخر فكما أنه قد تحقق بداخلك حب لأخيك فيجب عليك أن تصارحه به قال - صلي الله عليه وسلم - " أعلمته ؟ " على إسقاط همزة الاستفهام قال صاحب معالم السنن " قوله : أعلمته - استفهام بحذف أداة الاستفهام أي أعلمته ؟ أو هل أعلمته ... " (١) .

وفي الاستفهام من التوجيه بالتعجيل والحث على المسارعة بالإعلام والإعلام - كما ورد في معاجم اللغة - " مصدر أعلم وهو عبارة عن تحصيل العلم وإحداثه عند المخاطب جاهلاً بالعلم به ليتحقق إحداث العلم عنده وتحصيله لديه .. واختص الإعلام بما إذا كان بإخبار سريع " (٢) وإذا كان الإعلام إخباراً على وجه السرعة تتبدي البلاغة النبوية في اختيار هذه المفردة دون سواها مثل الإخبار وكذلك لأن هذه اللفظة " الإعلام " يشترط فيها الصدق قال أبوالبقاء الكفومي " ويشترط الصدق في الإعلام دون الإخبار " (٣) إذاً قد علم النبي - صلي الله عليه وسلم - صدق هذا الرجل فيما أفشاه له فأحب الرسول الكريم - صلي الله عليه وسلم - أن يبادر الرجل ويسارع بإعلامه بذلك فنبهه على ما ينبغي عليه فعله وقد استجاب الرجل الصادق في محبته فلق بصادقه فأعلمه ويلاحظ أيضاً اختيار حرف السرعة في قوله " فلقه " قال ابن فارس " اللام والحاء والقاف أصل يدل على إدراك شئ وبلوغه إلى غيره يقال لحق فلان

(١) ينظر معالم السنن للخطابي ٥/٣ .

(٢) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي تحقيق د/ محمد رضوان الداية ١٨٨/١ ط دار الفكر المعاصر ، ودار الفكر بيروت دمشق ط أولي ١٤١٠هـ وينظر الكليات لأبي البقاء الكفومي تحقيق د/ عدنان درويش ومحمد المصري ٢١٢/١ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

(٣) ينظر الكليات لأبي البقاء الكفومي ٢١٢/١ .

فلاناً فهو لاحق وأحق بمعناه .." (١) وهذا يشير إلى أمرين : الأول الامتثال التام لأمر الرسول - صلي الله عليه وسلم - فما كان للرجل أن يفكر أو يتواني أو يرجئ الأمر لوقت آخر - وهكذا ينبغي أن يكون المسلم مع أوامر الرسول الكريم لما في المسارعة في تنفيذ الأمر من الخير العاجل والآجل ، والثاني : رغبة الرجل المحب الذي يري في إعلام محبوبه وصاحبه بما يجده تجاهه من الراحة والسعادة قال الإمام البغوي " معني الإعلام هو الحث على التودد والتآلف وذلك أنه إذا أخبره استمال بذلك قلبه واجتلب به وده وفيه أنه إذا علم أنه محب له قبل نصحه فيما دل عليه من رشده ولم يرد قوله فيما دعاه إليه من صلاح خفي عليه باطنه " (٢) فإذا لم يعلم بذلك - كما يقول الخطابي " لم يؤمن أن يسوء ظنه فيه فلا يقبل قوله ويحمل ذلك منه على العداوة والشنآن " (٣) وهذا الإعلام من واجبات المحبة قال الشيخ محمد الغزالي " وينبغي أن يتعارف الأصدقاء حتى يكون تواصلهم عن بينة وأن يذكر أحدهم للآخر ما يمكنه له من إعزاز وحب " (٤) وفور اللحاق به أخبره بما يمكنه له من عظيم المودة وجليل المحبة فكان التواصل الصادق الحميم الذي أثمر هذه الجملة الطيبة المباركة " فقال إني أحبك في الله " مؤكداً له هذه الجملة مع أن المخاطب خالي الذهن من مضمون هذا الخبر ولكنه نزل هذه المنزلة افتراضاً منه أنه ربما يستغرب أو يندهش أو يظهر عليه علامات العجب فبادره بالتوكيد أو أن الرجل أحب أن يبلغه بهذا الخبر كما أورده هو للرسول الكريم وقد يكون التوكيد لما يجده هو في نفسه من عظيم المحبة والمودة فكأنه ابتهج بذلك واغتبط له وسر به فأراد بذلك التوكيد أن يختصر مسافات الحديث فربما توهم الرجل الأول أن هذا الإخبار سيقابله تساؤل أو استيضاح فأراد بالتوكيد أن ينهي المسألة ويأتي على آخرها وهكذا ينبغي على كل مسلم أن يهتم بما يمكنه لصاحبه اهتمامه به وألا

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٣٨/٥ .

(2) شرح السنة للبغوي ٦٧/١٣ .

(3) معالم السنن للخطابي ٥/٣ .

(4) خلق المسلم للشيخ الغزالي ص ١٧٨ ط دار نهضة مصر .

يقلل من شأن ما يجد فالمحبة ليست أمراً هيناً ولنتأمل ما ترتب علي هذه المصارحة وذلك الإعلام من المكافأة والجزاء الجزيل إنه مستمر على محبته مداوم عليها وهذا ما يفهم من الفعل المضارع "أحبك" وفي هذا من تجديد المحبة توكيدها وكذلك ما نلاحظه في الجار والمجرور "في الله" وما فيها من تقرير لحقيقة هذه المحبة ولفت إلى ضابطها وما لا تصح إلا به "في الله" وفيها دفع لما عسي أن يتوهم أنها قد داخلها هوي شخصي أو غرض دنيوي .

ولما صدق الحب في الله أثمر لتوه وأخذ كل منهما في تحصيل الجزاء والمكافأة فقال له صاحبه فور إعلامه بمحبته له " فقال أحبك الذي أحببتي له" وهذا خبر في معني الدعاء وإيثاره في صورة الخبر إيذاناً بأن الله قد استجاب له دعاءه فيه وها هو يخبر عن ذلك وفي تعريف المسند إليه " الذي أحببتي له " بالموصولية ما ينبئ عن تعليل الحكم وذكر سبب الحب وأن الجزاء من جنس العمل فلما أعلمه الأول بأن حبه له كان في الله فلا حرج أن يدعو له بحب الله له لأن الله هو الذي ألف بين قلبيهما والتعريف بالصلة مبحث دقيق المسلك غريب النزعة يوقفك على دقائق من البالغة تؤنسك إذا أنت نظرت إليها بثاقب فكرك وتنتج صدرك إذا تأملتها بصادق رأيك ولطائف التعريف بالموصولية لا يمكن ضبطها قال الشيخ محمد أبو موسي " والمهم في أنواع التعريف التعريف بالصلة لأنه تكثر إشاراته "(١) وبهذا ندرك واجباً من واجبات المحبة وجه إليه الرسول المعلم - صلي الله عليه وسلم - ألا وهون إعلام المحبوب بما له من صادق المحبة وصافي المودة ولنختتم بما قاله الغزالي " وهكذا كان ينمي الرسول - صلي الله عليه وسلم - عاطفة الحب في الله ويصل بين أطرافها لترسخ وتبقي ... فعندما يكون حب الله والحب فيه أساس السلوك فلن تهزم عقيدة أو تخذل فضلية أو تسقط للحق راية لكن عندما يكون جانب الله آخر ما يفكر فيه المرء فسيعربد الباطل في الأرض لا يخشى شيئاً"(٢) والله أعلى وأعلم .

(1) خصائص التراكيب ١٩٣ ط مكتبة وهبه ط خامسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

(2) ينظر كنوز من السنة للشيخ محمد لغزالي ص ١٠٠ ط دار نهضة مصر ط أولي .

ثالثاً : تعليق الأفضلية على شدة المحبة

عن أنس - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((ما تحاب رجلان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه))^(١) .
في هذا الحديث الشريف يدعونا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن نخلص المحبة لإخواننا المؤمنين ونسعي إلى تصفيتها من الشوائب وتنزيهها عن المعائب وهذا إنما يكون بصرف المحبة إلى الله تعالى خالصة لوجهه لا يداخلها شئ من أمور الدنيا فهي في الله والله وهذا أمر يحتاج إلى مجاهدة النفس وتوجيهها إلى ترك زخارف الدنيا وقطع كل رجاء بها إلا رجاء يكون في مصلحة الأخوة ، والحديث الشريف جاء في أسلوب خبري ولعل إirاده هكذا إنما هو لتقرير الحقيقة التي وانت فيه لكل من يسمعه أو يعلم به فكأنها حكم لا يقبل إلا التصديق .

والحديث الشريف يقرر حقيقة أفضلية المتحابين عند الله وأنها لا تنتظر إلى شئ من مظاهر الدنيا التي يقيس الناس عليها العلاقات فيرفعون ويضعون الأشخاص على أساسها من سيادة ووجاهة وحسب ونسب وجنس وعرق وهذه الحقيقة التي هي تفضيل بعض المتحابين على بعض إنما هي تتوقف على شدة محبة أحدهما للآخر ، وهذا الخبر - على صدقه - في غاية الإيجاز لسلوكه مسلك التخصيص والقصر إذ كله أشبه بجملة واحدة مع أنه في الأصل جملتان وهكذا طبيعة أسلوب القصر وطريقه كما هو واضح النفي والاستثناء وهذا الطريق - كما هو معلوم - يستعمل في مقام يجهله المخاطب أو في مقام ينزل فيه المخاطب هذه المنزلة قال الشيخ عبدالقاهر الجرجاني - رحمه الله - " وأما الخبر بالنفي والإثبات فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشكك فيه .. وجملة الأمر

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ١٨٩/٤ ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠ وصحيح ابن حبان تحقيق شعيب الأرناؤوط باب الصحبة والمجالسة ٣٢٥/٢ ط مؤسسة الرسالة بيروت ط ثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م وينظر المعجم الأوسط للطبراني ٢٦٧/٥ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢٥١/٤ ط دار الكتاب العربي بيروت

أنك متى رأيت شيئاً هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي فذلك لتقدير معني صار به في حكم المشكوك فيه ^(١) يقصد بذلك ما ينزل منزلة المنكر ويوضح الخطيب هذا بقوله " أصل الثاني - يقصد به طريق النفي والإثبات - أن يكون ما استعمل له مما يجهله المخاطب وينكره .. وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب ^(٢) وأري والله أعلم أن هذا الخبر من القسم الثاني الذي ينزل فيه المعلوم منزلة المجهول واعتباره المناسب هو الإغراء والترغيب وشحن النفوس واستفزاز المشاعر نحو تحصيل هذه الأفضلية لأنه من المعلوم الواضح لدي كل أحد أن من كان حبه أشد لصاحبه كانت منزلته أعلى لا يشك في هذا أحد ولهذا جاء الخبر وأي أفضلية إنها المكانة عند الله قال المناوي " أفضلهما أي أعظمهما قدراً وأرفعهما منزلة عند الله ^(٣) ولنتأمل قليلاً في دقائق التعبير النبوي وأسواره مع اعتبار ما تقدم من سر جمال التعبير بالخبر وإيثاره على غيره وكذلك وضعه في قالب القصر واختيار طريق النفي والإثبات له ، قوله : ما تحاب رجلان في تنكير لفظ رجلين ما يدل على العموم وأن هذا الأمر لا يتعلق أو يخص أشخاصاً بعينهم فكل من يجتهد في محبة أخيه ويبدلها خالصة له من غير هدف دنيوي أو مصلحة شخصية يحرز هذا الفوز ويحظى بتفضيل الله له ، وليس هذا خاصاً بالرجال دون النساء وعلى هذا يكون ذكر الرجلين مشتملاً على النساء من باب التغليب وكذلك أفعال التفضيل "أفضلهما" والذي يدل على اشتراك الصاحبين والأخويين في عظيم القدر ورفيع المنزلة عند الله لما تطارحاه من محبة في الله خالصة غير أن الذي اشتد حبه قد زاد في

(١) دلائل الإعجاز عبدالقاهر الجرجاني تعليق الشيخ محمود شاكر ص ٣٣٢ وما بعدها ط دار المدني بجدة ط الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ١/١٢٣ ط دار إحياء العلوم بيروت ط رابعة ١٩٩٨م وينظر مختصر السعد التفتازاني ١/١١٦ ط دار الفكر ط أولى ١٤١١هـ .

(٣) ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ٢/٦٧٠ ط مكتبة الإمام الشافعي الرياض ط الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م وينظر فيض القدير للمناوي - أيضاً - ٥/٤٣٥ ط المكتبة التجارية الكبرى مصر ط أولى ١٣٥٦هـ .

هذه الرفعة وتلك المكانة ، وقوله - صلي الله عليه وسلم - أشدهما حباً لصاحبه " أفعل التفضيل هنا يدل - أيضاً - على أن كل واحد منهما يجتهد بدعوى الإيمان في بذل ما في وسعه تجاه صاحبه من نصح وتوضيحات وكل ما لا تصلح الصحبة والأخوة إلا به ولا تصح إلا عليه ولا تتأتى إلا من خلاله من مراعاة شروط الصحبة وواجباتها ومتطلباتها غير أن أحد الصاحبين قد أوغل في توخي كل ذلك وأتي منه على آخره فاشتد حبه لصاحبه وصفي نفسه من كل أمر يشوب علاقته به وضابط هذه الصحبة كما قال الإمام الغزالي - رحمه الله - " وعلي الجملة فيعامله بما يجب أن يعامل به فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه فأخوته نفاق وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة "(١) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية " لأن هذه المحبة من محبة الله وكل من كانت محبته لله أشد كان أفضل "(٢) وقد ورد في تفسير قوله تعالى { وَمَنْ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْذَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ... } (٣) أن حب المؤمنين لله أثبت وأقوى من حب المشركين لأصنامهم أو المعبودين وهكذا ينبغي أن يكون حب المؤمنين مع إخوانهم المؤمنين قوياً متيناً لأن الرابط بينهم والمؤلف لقلوبهم هو الله تعالى قال الإمام البغوي في تفسير هذه الآية " والذين آمنوا أشد حباً لله .. أي أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على الله ما سواه "(٤) وقال صاحب

(1) بداية الهداية - أبو حامد الغزالي ٢٣/١ وينظر مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني ٣٢/١ .

(2) قاعدة في المحبة لابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم ١/ ٧٠ ط مكتبة التراث الإسلامي القاهرة وينظر الداء والدواء لابن القيم ١٣٤/١ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(3) سورة البقرة من الآية رقم ١٥٦ .

(4) ينظر تفسير البغوي تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ١٧٨/١ ط دار طيبة للنشر والتوزيع ط رابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م . وينظر تفسير النيسابوري تحقيق الشيخ زكريا عمران ١/ ٤٦١ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

روح المعاني " ووجه اختيار أشد حباً " على أحب إذ ليس المراد الزيادة في أصل الفعل بل الرسوخ والثبات وهو ملاك الأمر ^(١) .

واستثناساً بما ورد في تفسير الآية الكريمة أقول كان من دقائق التعبير النبوي - أيضاً - اختياره هذه اللفظة "أشد" في التفضيل على "أحب" مثلاً ويكون المعني أن المراد ليس الزيادة في أصل الفعل وهو الحب ولكن المراد هو الرسوخ والثبات على الحب وهذا في تقديري أهم وأولي فكم من محب لم يصدق في حبه فتغير قلبه وكم من محب داخل حبه شئ من أمور الحياة نغصت صفوه وكدرت معينه وكم من محب تلهي بالحياة بعد رحيل محبوبه وإنما فاز بالأفضلية وعظيم المنزلة عند الله تعالى من ثبت حبه لأخيه في قلبه فلم يتغير مع الأيام ورسخ في فؤاده فلم يتزعزع بمر الأعوام وهكذا يعلمنا الرسول الكريم - صلي الله عليه وسلم - كيف يكون المؤمن حريصاً على المكانة العليا وإحراز المنزلة العظمى عند الله بالوفاء لما يحمله لإخوانه وأحبابه في الله من الحب والإخلاص فنراه قد أورد لنا هذا الخبر الشريف وسلك به مسالك شتى متنوعة في تقرير هذا المعني وترسيخه في النفوس وإغراء المؤمنين بتحصيله وفي الحديث دعوة إلي التنافس في الخير والثبات على المحبة فحبك الخير لأخيك من لوازم حبك له إذ لا يتصور أن تكون محباً له ولا تحب له الخير وهذا منتهي الإخلاص في المحبة والله تعالى أعلم .

(١) ينظر تفسير روح المعاني للألوسي ٣٤/٢ ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

المبحث الثاني : المحبة من علامات الإيمان

أولاً : المحبة وسيلة لاكتساب الإيمان :

عن أبي هريرة قال قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - : ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم))^(١) .

في هذا الحديث الشريف يدلنا الرسول الكريم - صلي الله عليه وسلم - على الطريق الموصل للجنة وهو طريق سهل ميسور على من وفقه الله تعالى إليه فالجنة موجبتها الإيمان بالله تعالى والإيمان بالله تعالى من ضوابطه المحبة في الله تعالى والمحبة في الله تعالى لا تكون إلا بإفشاء السلام أو أن إفشاء السلام من أعلى مظاهر المحبة وقد رتب دخول الجنة على الإيمان ورتب الإيمان على المحبة ورتب المحبة على إفشاء السلام ولنتفياً لظلال هذا الحديث الشريف لنقف - بفضل الله - على بعض دقائقه وأسراره ونستطيع ابتداءً أن نجزم بأن إفشاء السلام موجب لدخول الجنة ولكنه لو أدى على الوجه الذي أمر به الرسول الكريم وللسلام شروط وضوابط ينبغي على المسلم معرفتها ليس المكان مكانها ولكن يحق لنا أن نسأل كيف تؤدي كلمة بسيطة يسمعها المرء ويقولها عشرات المرات يومياً إلى خلق جو من المحبة والألفة في العلاقات بين الناس ولا سيما المسلمين ؟ والواقع أن السلام الذي يؤدي هذا الغرض العظيم ليس كلمة يتم تبادلها بحكم العادة وإنما قولها تعبير خارجي عن قناعة داخلية وتجسيد لمبدأ راسخ يجب أن يصدر عن المسلم وهو الثقافة السلمية فالأصل في العلاقات بين الناس هو السلم والأمن ، وهذا الحديث الشريف دعوى صريحة إلى إرساء قواعد المحبة بين المؤمنين فلقد جاء الإسلام برسالة السلام والأمن لجميع فئات المجتمع ولا يكون سلماً إلا إذا انتشرت المحبة بين المسلمين عامة وبين الناس كافة هذا ... ولما كان دخول الجنة مترتباً على الإيمان كان قضية مسلمة لا

(١) صحيح مسلم باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها ٥٣/١ .

يختلف عليها اثنان وهي قوله - صلي الله عليه وسلم - " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا والمخاطبون يعلمون ذلك تماماً ولعل كون هذا الأمر مسلماً به هو ما جعل الرسول الكريم يرسل الكلام في أسلوب خبري خال من التوكيد لأنه أُلقي إلى مخاطب خالي الذهن غير شاك ولا منكر إلا أن الغرض من هذا الخبر ليس الفائدة وإنما هو لازمها وهو ترغيب الناس وتحفيز مشاعرهم إلى معرفة أشياء لا يتحقق الإيمان إلا بها وكيف يكون الإيمان بها صالحاً صحيحاً موصلاً للجنة ؟ قال الإمام النووي - رحمه الله - " لا تدخلون الجنة هكذا في جميع الأصول والروايات ولا تؤمنوا بحذف النون من آخره وهي لغة معروفة صحيحة "(١) ومما يلفت الانتباه هنا ورود قوله " ولا تؤمنوا " بحذف النون مع أن الفعل مرفوع وظاهر السياق يقتضي إثبات النون إلا أن الذي يدقق في اللغة يجد أن حذف النون بهذه الصورة لغة صحيحة معروفة عند العرب قال صاحب شرح التسهيل " ومن حذفها نثراً - أي نون الأفعال الخمسة - قراءة أبي عمرو من بعض طرقه { قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا } وقول الرسول - صلي الله عليه وسلم - : والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا "(٢) وأقول كفي بفصاحة هذه اللغة أن نطق بها أفصح البشر - صلي الله عليه وسلم - وقد أشار صاحب دليل الفالحين إلى سر حذفها في هذا الحديث فقال " ونكتة حذفها نظراً لحذفها فيما قبله فأتبعه ما بعده مشاكلة "(٣) يعني مراعاة الجرس والتناسب الصوتي بين " حتى تؤمنوا " و " لا تؤمنوا " وهذا من لطيف بديعه - صلي الله عليه وسلم - وحتى يؤخذ الكلام مأخذ الاهتمام والجد ألبس الأسلوب ثوباً من أثواب التوكيد وهو إيراد الجملتين في أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء فقوله " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، وقوله ولا تؤمنوا حتى تحابوا

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي ٣٦/٢ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط ثانية ١٣٩٢ هـ .

(٢) شرح التسهيل لأبي حيان الأندلسي تحقيق عبدالرحمن السيد ٥٣/١ ط مطبعة هجر ط أولي ١٩٩٢٠ وينظر حاشية الصبان ١٤٣/١ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م ، وينظر النحو الوافي عباس حسن ١٨٠/١ ط دار المعارف ط الخامسة عشرة .

(٣) دليل الفالحين لشرح رياض الصالحين لابن علامة ٢٥٦/١ .

"فيه معني القصر على اعتبار أن "حتى" في الجملتين بمعنى "إلا أن" لأن من معاني حتى أن تكون للاستثناء إذا صح تقديرها "بإلا أن" قال صاحب المغني "ولحتى الداخلة على المضارع المنصوب ثلاثة معان : مرادفة إلى ... ومرادفة كي التعليلية .. ومرادفة إلا في الاستثناء وهذا المعني ظاهر من قول سيبويه في تفسير قولهم : والله لا أفعل إلا أن تفعل المعني حتى أن تفعل ^(١) . والكلام هنا يستقيم إذا قدرناها أن فيكون الكلام " لا تدخلون الجنة إلا أن تؤمنوا ولا تؤمنوا إلا أن تحابوا" وقد ظهرت قيمة القصر هنا في تمكين الكلام وتقريره بما يحمله في طياته من معني الإثبات والنفي وهما يخدمان المعني ويضاف إلى القصر الوصل بالواو بين الجملتين وهي هنا في أحسن مواضعها فارتباط معني الجملتين في الخبرية لفظاً ومعني من أقوى الدواعي لوجود الواو الواصلة بينهما قال صاحب المفهم "والإيمان المذكور أولاً : حتى تؤمنوا - هو التصديق الشرعي المذكور في حديث جبريل ، والإيمان الثاني هو الإيمان العملي المذكور في قوله - صلي الله عليه وسلم - الإيمان بضع وسبعون باباً ولو كان الثاني هو الأول للزم منه ألا يدخل الجنة من أبغض أحداً من المؤمنين وذلك باطل قطعاً فتعين التأويل الذي ذكرناه ^(٢) وعلى هذا يكون المقصود بالإيمان الأول غير الثاني ولهذا رتب على الأول دخول الجنة أما الثاني فإيمان العمل وإن كان لا يشترط في الأول الكمال كما قال النووي " ولا تؤمنوا حتى تحابوا معناه لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب وأما قوله - صلي الله عليه وسلم - لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا فهو على ظاهره وإطلاقه فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمناً وإن لم يكن كامل الإيمان فهذا هو الظاهر من الحديث وقال الشيخ أبو عمرو - رحمه الله - معني الحديث لا يكمل إيمانكم إلا بالتحاب ولا تدخلون الجنة عند دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك وهذا الذي

(١) مغني اللبيب لابن هشام تحقيق د/ مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ١٦٩/١ ط دار الفكر بيروت ط سادسة ١٩٨٥ م ، وينظر الكتاب لسبويه تحقيق عبدالسلام محمد هارون ٣٤٢/٢ ط دار الجيل بيروت ، وينظر الجني الداني في حروف المعاني للمرادي تحقيق فخر الدين قباوة ص ٥٥٤ ط دار الكتب العلمية وينظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢٩٧/٣ ط دار إحياء الكتب العربية .
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي ١٦٨/١ .

قاله محتمل والله أعلم^(١) وأصل تحابوا تتحابوا بتأئين فحذفت إحداهما تخفيفاً والمعني يحب بعضكم بعضاً ولعل إيراد الفعل بئاء واحدة تخفيفاً فيه إشارة إلى خفة هذا الفعل وسهولته وفي هذا من الإغراء ما فيه مع أنه في الأصل ثقیل بتأئين وهو كذلك في ميزان العبد يوم القيامة .

وبعد أن حسم النبي - صلي الله عليه وسلم - القضية فلا دخول للجنة إلا بالإيمان ولا إيمان إلا بإرساء المحبة بين المؤمنين جاء توجيهه - صلي الله عليه وسلم - إلى الطريق الصحيح إلى ذرع بذور المحبة في تربة القلوب فقال " أولاً أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم " تأمل براعة العبارة في عرض الأسلوب الأمثل لنيل المحبة لقد اقتضت بلاغته - صلي الله عليه وسلم - أن يوجههم إلى الطريق الأمثل في أسلوب عرض وتشويق رائع يحفز النفوس ويشدها في لهفة إلى معرفة هذا الطريق لقد جاء التشويق بطريق العرض " أولاً " قبل إلقاء التوجيه ليمهد له النفوس ويجعلها في أعلى درجات الانتباه والتمعن يزيد في درجة هذا التحفيز تقديم همزة الاستفهام - التي أفادت العرض - على حرف العطف والأصل أن يتقدم حرف العطف لأن أداة الاستفهام جزء من جملة الاستفهام وأصل الجملة ألا أدلكم^(٢) ثم بعد تهيئة النفوس واستعدادها لإلقاء هذه الطريقة المثلى لتحقيق المحبة قال " أفشوا السلام

(1) شرح النووي ٣٦/٢ وينظر الديباج على مسلم للسيوطي تحقيق الشيخ أبوإسحاق الحويني ٧١/١ ط دار ابن عفان - السعودية الخبر ط أولي ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

(2) قال ابن مالك " والأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف كما جئ بعده بأخواتها فكان يقال في " أفطمعون ، فأنطمعون لأن أداة الاستفهام جزء من جملة الاستفهام وهي معطوفة على ما قبلها من الجمل والعاطف لا يتقدم عليه جزء مما عطف ولكن خصت الهمزة بتقدمها على العاطف تنبيهاً على أنها أصل أدوات الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام " ، ينظر شواهد التوضيح والتصحيح على مشكلات الجامع الصحيح لابن مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص ١١ ، ١٢ ط دار العروبة .

بينكم جاء في معاجم اللغة أن معني الإفشاء " الذيوع والانتشار والاتساع والظهور يقال فشا الشيء إذا ذاع واتسع وظهر وانتشر " (١) .

إنه الحل الأمثل لترسيخ جذور المحبة إنه السلام بكل صورته وأشكاله يدل على ذلك استخدامه - صلي الله عليه وسلم - للفظ " أفشوا " بدلاً من " ألقوا السلام أو ليسلم بعضكم على بعض فكأنه - صلي الله عليه وسلم - يريد نشر السلام بمفهومه الواسع الأشمل وليس المقصود مجرد التحية والسلام باللفظ فقط بل هو يريد سلاماً ينبعث من الأعماق يترجم المحبة التي يحملها كل مسلم لأخيه فيشعر معه بالأمن والأمان والسكينة والاطمئنان حتى إن حروف الكلمة نفسها " أفشوا " تدل على مراده فالألف تخرج من الجوف ويتسع معها الفم والشين كما سماها علماء الأصوات بحرف التقشي (٢) أي الانتشار لأنها تتقشي وتنتشر في مخرجها عند النطق بها وبهذا ينتشر السلام ويعم الأرجاء يحمل معه نسمات المحبة ورقيق المشاعر التي تخرج من قلوب المؤمنين لتستقر في سويداء قلوب إخوانهم فيعيش المجتمع كله في جو من الصفاء والوئام ... وهذا التجانس بين اللفظ ومعناه يسميه علماء البديع ائتلاف اللفظ مع المعني (٣) قال الإمام الطيبي - رحمه الله - جعل إفشاء السلام سبباً للمحبة والمحبة سبباً لكمال الإيمان لأن

(1) ينظر لسان العرب ١٥٥/١٥ ، ومقاييس اللغة لابن فارس ٥٠٤/٤ والعين للخليل تحقيق د/مهدي المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي ٢٨٩/٦ ط دار ومكتبة الهلال ، والصاح للجوهري ٣٠٥/٧ ط دار العلم للملايين ط رابعة ١٩٩٠ م ، والمحيط في اللغة لابن عباد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ٣٨٩/٧ ط عالم الكتب بيروت لبنان ط أولي ط ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م والمخصص لابن سيده تحقيق خليل إبراهيم جفال ٤٧٥/١ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط أولي ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م ، والقاموس المحيط مادة (فشا) .

(2) التقشي هو انتشار هواء الصوت في الفم عند النطق وذلك بتوسيع ما بين اللسان أعلى الحنك وحرفته الشين " ينظر مناهج البحث في اللغة د/ تمام حسان ص ٩٦ ط الدار البيضاء ١٩٧٤ م وينظر شرح الشاطبية (إبراز المعاني من حرز الأمان) في القراءات السبع لأبي شامة ٢٢/٣ .

(3) ينظر بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري تحقيق د/ حفني محمد شرف ص ٧٧ ط نهضة مصر بدون .

إفشاء السلام سبب للتحابب والتوadd أو هو سبب الألفة والجمعية بين المسلمين المسبب لكمال الدين وإعلاء كلمة الإسلام وفي التهاجر والتقاطع التفرقة بين المسلمين وهو سبب لانتهاام الدين والوهن في الإسلام وقال الحافظ " الإفشاء الإظهار والمراد نشر السلام بين الناس ليحيوا سنته"^(١) .

هذا .. وإفشاء السلام في الإسلام مكانة عظمي اهتم بها البيان النبوي وأولاها عناية بالغة ولو لم يكن من فوائد إفشاء السلام سوي أنه إفشاء لاسم الله "السلام" لكفي وقد ورد حديث شريف ينص على ذلك روي البخاري في الأدب المفرد - مرفوعاً - "إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله تعالى في الأرض فأفشوا السلام بينكم" قال الشيخ الألباني حسن^(٢) ويكون تأويل السلام : لا خلوت من الخيرات والبركات وسلمت من المكاره والمذام أو ليكن قضاء الله عليك السلام وهو السلامة . والله أعلم .

(1) ينظر تحفة الأحوذلي للمباركفوري ٣٨٣/٧ ط دار الكتب العلمية بيروت وينظر الفتح

لابن حجر تحقيق ابن باز ومحب الدين الخطيب ١٩/١١ وشرح النووي ٣٦/٢ .

(2) الأدب المفرد تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٣٤٣/١ ط دار البشائر الإسلامية ط الثالثة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

ثانياً : المحبة شرط في تحقيق الإيمان

عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(١).

هذا الحديث أصل عظيم في محبة المسلمين والنصح لهم وإيثارهم ومعاملتهم كمعاملة النفس ويدلنا الرسول الكريم فيه على خصلة من خصال الإيمان المستحبة ألا وهي أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فيأتيه بما يجب أن يؤتي به ويمنع عنه ما يجب أن يمنع عنه من الأذى وينصح له ويجتهد في أداء حقوقه واحترامه وتقديره والنظر في مصالحه وأعظم من ذلك إن رأي نقصاً في دين أخيه اجتهد في إصلاحه والحديث في جملته خبر يراد منه الترغيب في تحقيق الإيمان عن طريق حب الخير للمسلمين واستهله الرسول الكريم بهذه الأداة "لا" التي تختص بنفي المستقبل وقد تسلطت على الفعل المضارع "يؤمن" وقد اختلف العلماء في توجيه النصوص التي ورد فيها نفي الإيمان عما فعل محرماً أو ترك واجباً قال الإمام ابن تيمية "وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان ثم إن نفي الإيمان عند عدمها دل على أنها واجبة"^(٢) فمن قال إن المنفي هو الكمال فإن أراد أنه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق"^(٣) وعلى ذلك فقوله - صلى الله عليه وسلم - لا يؤمن أحدكم نفي لكمال الإيمان الواجب لا أصل الإيمان وإذا كان هذا نفي للكمال دل على قيمة هذه الخصلة وأنها لا كمال

(١) صحيح البخاري باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٧/١ ، وصحيح مسلم باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ٤٩/١ وسنن الترمذي ٦٦٧/٤ .

(٢) الإيمان لابن تيمية تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ١١/٢ ط المكتب الإسلامي عمان الأردن ط خامسة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

(٣) الإيمان لابن تيمية ١٢/٢ ، وينظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم ٢٠٩/٥ ط مؤسسة قرطبة ط أولي ١٤٠٦هـ .

للإيمان بدونها قال الإمام النووي " قال العلماء - رحمهم الله - معناه لا يؤمن الإيمان التام وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة" (١) .
وقال ابن حجر - رحمه الله - والمراد نفي كمال الإيمان ونفي اسم الشئ - على معني نفي الكمال عنه - مستفيض في كلامهم كقولهم : فلان ليس بإنسان فإن قيل فيلزم أن يكون من حصلت له هذه الخصلة مؤمناً كاملاً وإن لم يأت ببقية الأركان أوجب بأن هذا ورد مورد المبالغة أو يستفاد من قوله لأخيه المسلم (٢) ملاحظة بقية صفات المسلم وقد صرح ابن حبان - رحمه الله - بالمراد ولفظه " لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان " (٣) ومعني الحقيقة هنا الكمال ضرورة أن من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافراً (٤) والخطاب في أحكم عام يشمل جميع المسلمين وكل من يندرج تحت لفظ الإيمان لأن "أحد" نكرة أضيف إلى ضمير المخاطب فيعم جميع آحاد الناس وليس المراد بالأخ هنا ابن أبيه وأمه أو أخاه من الرضاعة بل المراد أخوة الإسلام " إنما المؤمنون إخوة" (٥) ولنتأمل في دقائق وأسرار التعبير النبوي في تصدير هذا الخبر بنفي الإيمان وإن كان المراد نفي الكمال الواجب - كما تقرر - وفي هذا ترهيب للسامعين وتخويف أن يزولوا عن هذه الحقيقة التي فارقوا لأجلها ديارهم وأموالهم في مقابل شئ يسير هين هو بذل المحبة لإخوانهم من المسلمين وكل ما يتعلق بها ومحبة كل خير لهم كما يحبه المرء لنفسه تماماً ومع الترهيب إغراء بتحقيق الكمال الإيماني كيف لا ؟ وقد علموا أن الجنة درجات وكل بحسب سعيه وعمله وناهيك عن القصر والتخصيص في قوله : لا يؤمن أحكم حتى يحب - على

(1) شرح النووي ١٦/٢ .

(2) ورد وصف المسلم في مسند أحمد ٢١/٢٢ .

(3) ينظر صحيح ابن حبان ٤٧١/١ وينظر مسند أبي يعلى تحقيق حسين سليم أسد ٤٠٧/٥ ط دار المأمون للتراث دمشق ط أولي ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

(4) فتح الباري لابن حجر ٥٧/١ ، وينظر التحفة الربانية شرح الأربعين النووية للشيخ إسماعيل الأنصاري ١/١٤ ط مكتبة الإمام الشافعي ط أولي ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .

(5) سورة الحجرات من الآية رقم ١٠ .

حتى يحب - على ما تقرر سلفاً من أن حتى تدل فيما تدل على معني إلا أن ويكون قد قصر الإيمان على محبة الخير للمسلمين كما يحبه لنفسه قصر صفة على موصوف ومعلوم أن أسلوب القصر يفيد التقرير والإيجاز وقوله حتى يحب لأخيه وإيثار لفظ أخيه بدل قوله حتى يحب للمسلم - مع ما تقرر أن المراد الأخوة في الإسلام - هنا استعطاف وترغيب وتحبيب وفيه إشارة إلى هذه الرابطة القوية رابطة الأخوة التي تقتضي أن يبذل المرء ما في وسعه تجاهها وأن لا يتواني عن تحقيق مرادها حتى وإن كلفه ذلك نفسه وقوله : ما يحب لنفسه "ما" موصولة والعائد محذوف تقديره أي ما يحبه وفيه حذف تقديره ما يحب من الخير لنفسه ويدل على ذلك ما ورد في رواية النسائي "حتى يحب لأخيه من الخير"^(١) ومحبة الخير لأخيه المسلم تقتضي أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من سوء ولم يذكره لأن حب الشيء مستلزم بغض نقيضه وترك التنصيص عليه يسمى اكتفاء^(٢) وذلك ليكون المسلمون كنفس واحدة ومن زعم كابن الصلاح^(٣) أن هذا من الصعب الممتنع غفل عن المعني والمراد وهو أن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها كما تقرر وبه دفع ما قيل هذه محبة عقلية لا تكليفية طبيعية لأن الإنسان جبل على حب الاستئثار فتكليفه بأن يحب له ما يحب لنفسه مفض إلى أن لا يكمل إيمان أحد إلا نادراً قال الإمام الألباني وذكر الأخ أغلبي فالمسلم ينبغي أن يحب للكافر الإسلام وما يترتب عليه من الخير والأجر ومقصود الحديث انتظام أحوال المعاش والمعاد والجري على قانون السداد {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} ^(٤) وعماد ذلك

(١) ينظر سنن النسائي الكبرى ٥٣٤/٦ .

(٢) وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة بلاغية " ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها د/ عبدالرحمن الميداني ٥٠١/١ ، وينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ٧٩/٢ ط المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥م ، وجواهر البلاغة للهاشمي تقديم حسن نجار محمد ص ٣٣٠ ط مكتبة الآداب ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

(٣) ينظر شرح النووي ١٧/٢ .

(٤) سورة آل عمران من الآية رقم ١٠٣ .

وأساسه السلامة من الأدواء القلبية كالحاسد يكره أن يفوته أحد أو يساويه في شئ والإيمان يقتضي المشاركة في كل خير من غير أن ينقص على أحد من نصيب أحد شئ^(١) والكلام على تقدير التشبيه في قوله " ما يحب لنفسه" والمعني مثل ما يحب لنفسه إذ يستحيل أن يحب لأخيه نفس الشئ الذي يحبه لنفسه قال الإمام العيني " فإن قلت كيف يتصور أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وكيف يحصل ذلك المحبوب في محلين وهو محال ؟ قلت تقدير الكلام حتى يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه"^(٢) .

ولعل إيراد العبارة على هذا النحو فيه دلالة على الإيثار والتضحية بمعني أن هذا الشئ المحبوب لنفسك ينبغي أن تؤثر به أذاك على نفسك وفي هذا منتهي المحبة التي تستوجب الإيمان الكامل والذي يترتب عليه الأجر والثواب وعظيم المنزلة وفي هذا الحديث الشريف فوائد ينبغي أن أشير إليها وهي:

- ١- هذا الحديث يخص علاقة المسلم مع إخوانه ويحددها .
- ٢- يزرع الأخوة الحققة بين المسلمين سواء في لفظه لقوله أخيه أو في معناه .
- ٣- محبة الخير للغير من علامات الإيمان فمن أحب الخير والنفع عامة لجميع المسلمين فقد كمل إيمانه لظاهر الحديث .
- ٤- تمنى الضر لغيره من المسلمين علامة نقص في إيمانه فليسرع وليستدرك نفسه قبل أن يتفاقم الأمر وينتشر ويجلب أمراض الحسد والغل والحد .
- ٥- بيان ميزة وخصوصية المجتمع الإسلامي دون غيره وهي محبة الخير للغير كما يحب لنفسه تماماً .
- ٦- تمنى الخير للنفس من طبيعة النفس ولا حرج في ذلك إن كان ذلك الخير يقرب إلى الله تعالى ولهذا قال ما يحب لنفسه .
- ٧- محبة الخير للغير أمر يجب أن يستمر عليه الإنسان طيلة حياته وهذا مفهوم من صيغة الفعل المضارع " يحب " و " يؤمن " .

(1) ينظر مصابيح التنوير للألباني ١٠٨/٢ .

(2) عمدة القاري ٣٧٨/١ .

٨- الحديث يشمل جميع المؤمنين فيجب أن تحب لهم الخير حتى أولئك الذين بينك وبينهم عداوات شخصية ومخاصمات دنيوية ولهذا جاء لفظ الحديث عاماً دون استثناء .

٩- الحديث دليل على أن الإيمان يزيد وينقص فمن أحب للمسلمين الخير كمل إيمانه ومن فاتته هذا نقص إيمانه على قدر تلك الخصلة . والله أعلم .

ثالثاً : المحبة وسيلة لاستكمال الإيمان

عن أبي أمامة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ((من أحب لله وأبغض لله وأعطي لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان))^(١) .

في هذا الحديث الشريف يرشدنا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى وسيلة نستكمل بها إيماننا ونضبط بها مشاعرنا ونحسن توجيهها ونستفيد منها ونربطها برابط الدين ألا وهي الحب والبغض والعطاء والمنع قال صاحب الكشاف " والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان"^(٢) وهذه الخصال الأربع من أعمال الإنسان فالحب والبغض في القلب والباطن والعطاء والمنع في الظاهر وفي ضبط هذه الأفعال على سلوك الإسلام تؤتي كل خصلة منها ثمارها المرجوة وتحقق للعبد ما يطلبه في حياته الدنيا من إرضاء مولاه وفي حياته الآخرة من جنته ودار مقامته أما الحب والبغض فهما من طبيعة الإنسان ومن صفاته المتأصلة فيه لا مفر منهما ولا عاصم عنهما ولن يخلو إنسان من حب أو بغض .. وكثيرا ما يسير الإنسان وراء هواه في حب الناس وبغضهم ويحكم أغراضه في الرضا عنهم أو كرههم ولا يوجه حبه وبغضه في وجه الحق والدين والعقل لهذا وضع الإسلام ميزانا للحب والبغض هو ما أرشدنا إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث والميزان الحق في ذلك أن يكون حبك وبغضك لله فأنت تحب الله وتبغض الله تحب المؤمنين الصالحين وتبغض الكافرين المفسدين تحب أولياء الله وتبغض أعداء الله تحب من أحب الله ولو خالف آراءك وتبغض من يبغضه الله ولو وافقك أحيانا والعطاء يشمل عطاء العبد من نفسه كل ما أمر به مثل قوله تعالى { فَأَمَّا مَنْ

(1) سنن أبي داود ٣٥٤/٤ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، والمعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ١٣٤/٨ ط مكتبة العلوم والحكم الموصل ط ثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، ومصنف ابن أبي شيبة تحقيق كمال يوسف الحوت ١٣٠/٧ ط مكتبة الرشد الرياض ط أولي ١٤٠٩هـ .

(2) الكشف للزمخشري تحقيق عبدالرزاق المهدي ٣٨٠/١ ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

أَعْطَى وَأَتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى {^(١)} ولنحاول الوقوف على دقائق وأسرار هذا الحديث الشريف وبالله التوفيق أولاً "مَنْ" في قوله - صلي الله عليه وسلم - مَنْ أَعْطَى الله .. تصلح أن تكون موصولاً حرفياً أو أداة شرط وعلى كونها موصولاً حرفياً يكون فيها دلالة على العموم من غير تنصيص على شخص بعينه بمعنى أن أي إنسان ذكراً كان أو أنثى إذا توجه بهذه الخصلة في وجه الحق والدين والعقل يكون بذلك قد استكمل إيمانه ، وعلى كونها أداة شرط تكون قد أوقفت وقوع الجواب على حصول الشرط بمعنى أن إيمان العبد لا يتحقق ولا يكتمل إلا إذا أتى بهذه الخصال على حقيقتها واضعاً كل واحدة منها في موضعها وبهذا يتحقق له استكمال الإيمان ومعلوم أن العبد كلما اكتمل إيمانه نال بذلك أعلى الدرجات وفاز بكل أنواع القربات ، والحب - كما هو معلوم - لا يتوجه إلى ذات الإنسان وإنما لما يحمله من إيمان وطاعة وقرب من الله وذلك واضح بالقرائن وكذلك البغض لا يتوجه إلى ذات الإنسان ولكن لما يحمله من الكفر أو المعصية فإذا انتفى الكفر أو زالت المعصية زال هذا الكره والبغض وهو يتجزأ بحسب قوة المعصية وعظمتها والاستمرار عليها وملاحظة في سر حذف المفعول في قوله - صلي الله عليه وسلم - من أحب الله حيث لم يصرح بمن وقع عليه الحب وسر هذا هو إطلاق دلالة الفعل دون تعلق بمفعول معين ليتجه النظر لذات الفعل وحقيقته وهذا يدلنا على أن ما ترتب على هذا الحب من ثواب جزاء ترتب لا بالنظر إلى من وقع عليه الحب بل من وقوع الحب هكذا خالصاً صادقاً وقد أمر المسلم بمحبة إخوانه المسلمين دون تقييد أو تحديد وأمر بمحبة الخير لهم جميعاً لا من يخصونه ويعنونه قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني - رحمه الله - " وإذ قد بدأنا في الحذف .. فإنني أتبع ذلك ذكر المفعول به إذا حذف خصوصاً فإن الحاجة إليه أمس وهو بما نحن فيه أخص واللطائف كأنها فيه أكثر وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب

(1) سورة الليل الآيات رقم ٥ - ٧ .

وأظهر^(١) ويشير الشيخ إلى أن إسناد الفعل إلى الفاعل يكون الغرض منه إثبات الفعل للفاعل لا إفادة وجود الفعل في نفسه وعلى الإطلاق وبهذا مع ذكر الفاعل والمفعول في الجملة يتوجه النظر إليهما ومع حذفهما ينصب الكلام على الفعل وتكون دلالاته مطلقة غير مختصة بمعين وفي هذا دلالة على إرادة العموم وهو سر من أسرار يحذف لها المفعول في الكلام يقول الشيخ بعد ذكر أمثلة لحذف المفعول " المعني في جميع ذلك على إثبات المعني في نفسه للشئ على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول .. فاعرف ذلك فإنه أصل كبير عظيم النفع^(٢) وفي تعلق شبه الجملة " لله " بالفعل " أحب " توظيف وتوصيف لهذا الحب ولئن كان حذف المفعول أفاد العموم والإطلاق وكذلك الثناء على من قام بهذا الفعل غير منظور إلى من وقع منه ففي شبه الجملة تقييد وضبط لهذه المحبة قال صاحب عون المعبود " من أحب أي شيئاً أو شخصاً فحذف المفعول لله أي لأجله ولوجهه مخلصاً لا لميل قلبه ولا لهواه وأبغض لله لا لإيذاء من أبغضه له بل كفره وعصيانه وأعطى الله أي لثوابه ورضاه لا لنحو رياء ومنع الله أي لأمر الله كأن لم يصرف الزكاة لكافر لخسته ولا لهاشمي لشرفه بل لمنع الله لهما منها^(٣) وقد حذفت مفعولات هذه الأفعال الأربعة لإفادة العموم والإطلاق حتى لا تكون هناك شبهة من وراء الحب والبغض والعطاء والمنع وهذا يتنافى مع إخلاص العمل لله بأن يحب شخصاً لوده له أو يبغضه لحاجة شخصية أو غرض دنيوي أو يعطيه لينال من وراء هذا العطاء رياء أو سمعة أو يمنعه لانعدام منفعة من منعه بل ينبغي أن تكون هذه الخصال الأربع متجردة من الهوي وحظ النفس خالصة لله تعالى حتى تثمر

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهرة الجرجاني تحقيق د/ محمد التتجي ص ١٢٧ ط دار الكتاب العربي بيروت ط أولي ١٩٩٥ م .

(٢) ينظر دلائل الإعجاز ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ٢٨٥/١٢ ط دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية ١٤١٥ هـ وينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٢٩/٦ ، وينظر مشكاة المصابيح للتبريزي ٢٨٢/١ .

إن الحب في الله يدل على كمال الدين ويثمر ذلك من صفاء السريرة واتقان العمل والخوف من الله وتقديس كتبه وحب سنة نبيه ما يزيد الإيمان ويبعث على نقاء وسلامة القلب وقوله - صلي الله عليه وسلم - فقد استكمل الإيمان بمعنى أكمله وناهيك عن حرف السرعة الفاء الذي يدل على ترتب وقوع كمال الإيمان فور بذل هذه الأفعال لله تعالى وتحقيق وقوع كمال الإيمان المدلول عليه بحرف التحقيق " قد " أي أن كمال الإيمان واقع ومتحقق ولكن بشرطه وهو أن تخلص هذه الأعمال وغيرها لله تعالى قال الطيبي " وهو بحسب اللغة - يقصد أن استكمل بمعنى أكمل - أما عند علما البيان ففيه مبالغة لأن زيادة المبني زيادة في المعني كأنه جرد من نفسه شخصاً يطلب منه الإيمان وهذا من الجوامع المتضمنة لمعني الإيمان والإحسان ^(١) وحصر هذه الخصال هنا في أربع الحب والبغض والعطاء والمنع " لأن مدار الدين على أربع قواعد قاعدتان باطنتان وقاعدتان ظاهرتان فالباطناتان الحب والبغض والظاهرتان الفعل والترك فمن استقامت نيته في حبه وبغضه وفعله وتركه فقد استكمل مراتب الإيمان ^(٢) وكذلك لأن هذه الخصال الأربع حظوظ نفسانية إذ قلما يحضها الإنسان لله تعالى لما يداخلها من الهوي والميل إذا محضها - مع صعوبة تمحيضها - كان تمحيض غيرها بالطريق الأولي ومن دقائق التعبير هنا ولطيفه الطباق بين كل فعلين أحب وأبغض ، وكذلك بين أعطي ومنع وبهذا تظهر قيمة الحب في الله ومدي منزلة المحبوب عند من أحبه ومكانة كل منهما عند الله تعالى وما في ذلك من الدعوة للمحبة لله والحث عليها وتظهر قيمة البغض في الله وحال المبغضين وبعدهم من جناب الله وسوء عاقبتهم وأن الذي قد أبغض الله قد جرد نفسه من هواها وما تجرأ على هذا إلا إرضاء لله وبين العطاء والمنع وقيمة كل ومنزلة المعطي والمانع لله في ميزان الله يوم القيامة وبهذا تتضبط حركات الإنسان لأن كل حركات القلب والجوارح إذا كانت لله فقد كمل إيمان العبد بذلك

(1) ينظر فيض القدير للمناوي ٢٩/٦ ، ومصابيح التنوير للألباني ١٥٦/١ ومروقة المفاتيح للمباركفوري ٢٥٧/١ .

(2) ينظر فيض القدير ٢٩/٦ .

باطناً وظاهراً ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح فإذا كان القلب صالحاً ليس فيه إلا إرادة الله وإرادة ما يريد لم تتبعث الجوارح إلا فيما يريد الله فسارعت إلى ما فيه رضاه وكفت عما يكرهه وعما يخشى أن يكون مما يكرهه وإن لم يتيقن ذلك قال الحسن البصري - رحمه الله - " ما ضربت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أنظر أعلى طاعة أو على معصية فإن كانت طاعة تقدمت وإن كانت معصية تأخرت ^(١) وإذا علم الإنسان ذلك كما قال أبو العباس القرطبي " وجبت العناية بالأمر التي يصلح بها القلب ليتصف بها وبالأمر التي تفسد القلب ليتجنبها " ^(٢) .

هدانا الله إلى العمل بطاعته وأخلص نياتنا له في جميع أمورنا إنه على ما يشاء قدير ، والله أعلم .

(1) ينظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ٧٦/١ ط دار المعرفة بيروت ط أولي ١٤٠٨ هـ

(2) ينظر المفهم ٦٩/٤ .

رابعاً : المحبة وسيلة لاكتساب حلاوة الإيمان

عن أنس عن النبي - صلي الله عليه وسلم - قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار^(١) .

هذا الحديث الشريف من الأحاديث العظيمة لأنه يضم معاني عظيمة وأسساً كبيراً من أسس الإيمان من حب الله ورسوله والتحاب بين المسلمين والثبات على الإيمان والعص عليه بالنواجذ وبغض الكفر وأهله بلوغ كراهية الكفر مبلغاً أن يؤثر عليه القذف في النار قال الإمام النووي " هذا حديث عظيم وأصل من أصول الإسلام قلت كيف لا ؟ وفيه محبة الله ورسوله التي هي أصل الإيمان بل عينه ولا تصح محبة الله ورسوله حقيقة ولا حب لغير الله ولا كراهة الرجوع في الكفر إلا لمن قوى الإيمان في نفسه وانشرح له صدره وخالط دمه ولحمه وهذا هو الذي وجد حلاوة الإيمان "^(٢) .

ولما كان لصدر الحديث أهمية بالغة في استثارة المتلقي وتنبهه إلى الإصغاء إلى ما يخاطب به استهل - صلي الله عليه وسلم - هذا البيان الشريف بأسلوب تشويقي يجذب انتباه المخاطب ويخلع على الخبر أهمية بالغة عرفه بعد ذلك علماء البلاغة بأسلوب الإيضاح بعد الإبهام^(٣) وهو صورة من صور الإطناب فهذه الجملة " ثلاث من كن فيه ... جملة مبهمه جعلت السامع يتقرب بل يتعجل الإيضاح والتفصيل وبذلك تكون قد أثارت فيه النشاط والانتباه الذين يتطلبهما أهمية الخبر فإذا ما فصل الحديث ووضّح المبهم صادف نفساً مهياً مستعدة وتحديداً لصورة الإيضاح بعد الإبهام هنا نجد أن الابتداء بالشئ مجملاً في عرر

(1) صحيح البخاري باب حلاوة الإيمان ٢٠/١ ، وصحيح مسلم باب بيان خصال من اتصف بهن

وجد حلاوة الإيمان ٤٨/١ .

(2) شرح النووي ١٢٢/١ .

(3) وهو أن يأتي الكلام مبهماً مغلفاً بشئ من اللبس وبحس صاحبه إزاء ذلك بأن الأمر يحتاج إلى كلام يزيل هذا اللبس ويوضح ذلك الإبهام " . ينظر الإطناب أنواعه وقيمه البلاغية د/شاكر القطان ص ٢٦ ط مكتبة التراث بالمدينة المنورة ط أولي ١٩٨٦ وينظر الإطناب في البلاغة العربية د/ فرج محمد فرج ص ٣١ طبع ونشر مصر للخدمات العلمية بدون .

معين كـ " ثلاث " ثم تفصيله بعد ذلك هو ما يسميه البلاغيون بالتوشيع^(١) ونكتته ليري المعني في صورتين مختلفتين أو ليتمكن المعني في النفس فضل تمكن فإن المعني إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام - ثلاث من كن فيه - تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل الإيضاح والتفصيل فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك فإذا ألقى كذلك تمكن فيه فضل تمكن^(٢) ومما يلحظ أيضاً في هذه الجملة الإيغال في درجة الإبهام وذلك عن طريق الإيجاز بالحذف في قوله ثلاث حيث حذف المضاف إليه وعوض عنه التتوين إذ التقدير ثلاث خصال وبحذف المضاف إليه ساغ الابتداء بثلاث لأنها نكرة ، ولعل السر في التعبير بلفظ ثلاث مجردة من الإضافة هو المبالغة في الإبهام تشويقاً للسامع لمعرفة أصل هذه الثلاث والوقوف على تفاصيلها وإن كان هذا العدد غير مطلوب والمعني ثلاث خصال من الخصال الكثيرة التي يجد بها المرء حلاوة الإيمان لأنه قد جاء في حديث آخر عن العباس بن عبدالمطلب أنه سمع رسول الله - صلي الله عليه وسلم - يقول " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً "^(٣) وحلاوة الإيمان هي ما يجده الطائع لله الذي قام بامتثال أوامره واجتتاب نواهيه من راحة النفس وسعادة القلب وانشراح الصدر وسعة البال أثناء العبادة وعقبها وهذه اللذة والراحة تتفاوت من شخص لآخر حسب قوة الإيمان وضعفه وهذه اللذة تحصل بحصول أسبابها كما أنها كذلك تزول بزوال أسبابها قال الإمام النووي - رحمه الله - " معني حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا الله عز وجل ورسوله - صلي الله عليه وسلم - وإيثار ذلك على عرض الدنيا ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى

(١) وهو كل مثني أو جمع ذكر أولاً مجملاً ثم فصل ثانياً سواء أ كان في أول الكلام أو في وسطه أو في آخره " ينظر في ذلك مواهب الفتح لليعقوبي - ضمن الشروح - ٢١٦/٣ ط دار الكتب العلمية بيروت بدون وينظر عروس الأفراح للسبكي - ضمن الشروح - ٢١٦/٣ وينظر الحديث النبوي من الوجهة البلاغية د/ عز الدين علي السيد ص ٤٠٤ ط دار أقرأ ط أولي ١٤٠٠ هـ ١٩٨٤ م .

(٢) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني تحقيق د / عبدالقادر حسين محمد ص ٢٢٨ ط مكتبة الآداب .

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ٤٦/١ .

بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله - صلي الله عليه وسلم -
"(١) وتتبدى البلاغة النبوية في التعبير عما يجده الطائع المذل لله تعالى أثناء طاعته أو عقبها بالحلاوة وفي التعبير عن الراحة والسعادة وانشراح الصدر بالحلاوة " استعارة بالكناية وذلك لأن الحلاوة إنما تكون في المطعومات ، والإيمان ليس مطعوماً فظهر أن هذا مجاز لأنه شبه الإيمان بنحو العسل ثم طوي ذكر المشبه به لأن الاستعارة - كما هو معلوم - هي أن يذكر أحد طرفي التشبيه مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به فالمشبه به إيمان والمشبه به عسل ونحوه والجهة الجامعة وهو وجه الشبه الذي بينهما هو الالتذاذ وميل القلب إليه فهذه هي الاستعارة بالكناية ثم لما ذكر المشبه أضاف إليه ما هو من خواص المشبه به ولوازمه وهو الحلاوة على سبيل التخييل وهي استعارة تخيلية وترشيح للاستعارة"(٢) قال ابن حجر " وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح لأن المريض الصفراوي وجد طعم العسل مرأً والصحيح يزوق حلاوته على ما هي عليه وكلما نقصت الصحة شيئاً ما نقص ذوقه بقدر ذلك"(٣) وقال السندي في شرح سنن النسائي " وبالجملة فللإيمان لذة في القلب تشبه الحلاوة الحسية بل ربما يغلب عليها حتى يدفع بها أشد المراتات وهذا مما يعلم به من شرح الله صدره للإسلام"(٤) وهكذا يعلمنا النبي - صلي الله عليه وسلم - أن الإنسان ينبغي أن يعلم أنه مهما توفرت له سبل الراحة والمعيشة فلن يجد هذه اللذة إلا إذا وثق صلته بالله فالمال والجاه والحسب والنسب والأولاد لا تغني عن الإيمان شيئاً ولا نسبة بين نعيم الدنيا الزائل وبين نعيم الإيمان وفي إثبات التعبير .

عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة - كما قال ابن حجر - رحمه الله - (٥) ثم شرع البيان النبوي يفصل ويوضح مزيلاً للإبهام والإجمال

(١) شرح النووي ١٢٢/١ وينظر المفهم ١٢٧/١ .

(٢) ينظر عمدة القاري للعيني ٣٩٨/١ .

(٣) فتح الباري لابن حجر ٦٠/١ .

(٤) حاشية السندي على النسائي تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ٩٥/٨ ط مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ط ثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٥) ينظر فتح الباري لابن حجر ٦١/١ .

فبدأ بأول الثلاث - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما أي مما سوي الله ورسوله إن محبة الله سبحانه والأنس به والشوق إلى لقائه والرضا به وعنه أصل الدين وأصل أعماله وإرادته ومحبهه تعالى بل كونه أحب إلى العبد من كل ما سواه على الإطلاق - من أعظم واجبات الدين وأكبر أصوله وأجل قواعده قال شيخ الإسلام ابن تيمية " لكن العبادة المأمور بها تتضمن معني الذل ومعني الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له "(١) ومن أحب معه مخلوقاً مثل ما يحبه فهو من الشرك الذي لا يغفر لصاحبه ولا يقبل معه عمل قال تعالى { وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } (٢) فمحبة الله تعالى أعلى درجات العبودية له سبحانه فينبغي بل يجب أن تتقدم على جميع محاب المرء من والد وولد وزوجة وصديق وما سوي ذلك ولا يساويها قط محبة ، وقد دل الحديث - أيضاً - على وجوب محبة الرسول الكريم - صلي الله عليه وسلم - وعلى تقديمها على كل المحاب وألا يساوي بها محبة وهي بعد محبة الله تعالى وقد نصت آيات كثيرة وأحاديث عظيمة - صحيحة على ذلك مباشرة ليس المكان لسردها ، ومحبة الرسول - صلي الله عليه وسلم - تكمن في اتباعه والافتداء به والذود عن سنته وإنزالها المنزلة اللاتقة بها فحب الرسول - صلي الله عليه وسلم - دليل على الإيمان وبقدر ارتفاع درجة هذا الحب أو انخفاضها ترتفع درجة الإيمان أو تنخفض فإذا وصل المؤمن إلى أن يكون الله ورسوله أحب إليه من كل شيء كان كامل الإيمان قال ابن حجر " فمن يدعي حب الله مثلاً ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك لأن الله تعالى أوقع متابعتة مكتتفة بين قطري محبة العباد ومحبة الله تعالى للعباد وأيضاً قال تعالى { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } ... "(٣) فأعاد أطيعوا في الرسول ولم يعده في أولي الأمر لأنهم لا استقلال لهم في

(١) ينظر رسالة العبودية لابن تيمية ٢/١ ، وينظر قاعدة في المحبة لابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم ١٠/١ ط مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ، وينظر مدارج السالكين لابن القيم تحقيق محمد حامد الفقي ٩/٣ ط دار الكتاب العربي بيروت ط ثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م .

(٢) سورة البقرة من الآية رقم ١٦٥ .

(٣) سورة النساء من الآية رقم ٥٩ .

الطاعة كاستقلال الرسول ^(١) ثم بعد أن فرغ من بيان وجوب محبة الله ومحبة رسوله على المؤمنين شرع في بيان نوع آخر من المحبة مرتبطة بالمحبة الأولى التي لله ولرسوله فقال - صلي الله عليه وسلم - " وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله .. هذه هي الخصلة الثانية عطف على الخصلة الأولى لبيان فضلها كذلك وأنها تابعة لها في المنزلة ، ومحبة المؤمنين لإيمانهم وطاعتهم من أعلى درجات الإيمان وبها يجد المؤمن حلاوة الإيمان وفي إثثار التعبير بالمصدر المؤول " أن يحب " دون الصريح وذلك لما في الفعل من الدلالة على التجدد والحدوث لهذه المحبة في قلبه مادام هذا المرء مرتبطاً بالله تتقطع هذه المحبة عند انقطاع صلة المرء بالله فهو لا يحبه لذاته وإنما يحبه الله ولذا تراه يؤكد أصل هذه المحبة بالجملة الحالية - لا يحبه إلا الله - بعود الضمير فيها على المرء المحبوب في الجملة الأولى لينفي عن هذه المحبة أي شئ من الحظوظ البشرية فالمحبة في قلب هذا الذي وجد حلاوة الإيمان منذ نشأتها في قلبه وحال دوام هذا المرء على طاعة الله خالصة لله منقطعة عن أي غرض دنيوي ساعد على تأكيد هذا المعنى وترسيخه إيراده في ثوب القصر الذي نفى عن هذه المحبة أي تعلق آخر وأثبتها خالصة لله وحده فهو قصر إضافي قصر صفة على موصوف وكان من الممكن أن يقال " وأن يحب المرء الله " دون قصر غير أن التأكيد بجملة القصر أفاد قطع شائبة العلائق عن هذه المحبة إذا فالقصر هنا قد أفاد التوكيد على أن إخلاص المحبة لله شرط أكيد في تحصيل الإيمان الذي لا يجد حلاوته إلا من صفت روحه الله وخلت من كل علائق الدنيا أي لا يحبه لغرض وعرض وعوض ولا يشوب محبته حظ دنيوي ولا أمر بشري بل محبته تكون خالصة لله تعالى فيكون متصفاً بالحب في الله وداخلاً في المتحابين لله قال ابن رجب " وإنما كانت هذه الخصلة تالية لما قبلها لأن من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فقد صار حبه كله له ويلزم من ذلك أن يكون بغضه لله وموالاته له ومعاداته له وأن لا تبقي له بقية من نفسه وهواه وذلك

(١) ينظر فتح الباري لابن حجر ٦٢/١ .

يستلزم محبة ما يحبه الله من الأقوال والأعمال وكراهة ما يكرهه من ذلك وكذلك من الأشخاص ^(١) .

ولما كانت المحبة أصلاً من أصول الدين الذي يعمق جذور الإيمان في تربة القلوب عطف عليه قوله " وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " وهذه جملة مرتبطة بأول الحديث لأن محبة الله ورسوله نابعة من الإيمان بهما والطاعة لهما وتأكيد هذه المحبة هو كراهة الخروج منها إلى النقيض فأول الحديث وآخره يدور حول قطب واحد هو إخلاص المحبة لله تعالى قال ابن القيم " وتصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته شيئاً ... " ^(٢) ومما يلحظ في الحديث الشريف من دقائق وأسرار بلاغية فضلاً على ما تقدم : بلاغة الفصل والوصل المتمثلة في الفصل بين قوله : ثلاث من كن فيه ، وبين ما بعدها والسر في ذلك الفصل كمال الاتصال حيث نزلت الجملة الثانية وما عطف عليها من الجملة الأولى منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح والتبيين والتفصيل لما أبهم في الجملة الأولى ، أيضاً الوصل بين الجمل الثلاث (أن يكون الله ورسوله أحب .. وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر) وذلك لوجود الجهة الجامعة بينها وقصد التشريك في الحكم الإعرابي مع اشتراكها جميعاً في الخبرية لفظاً ومعنى كذلك من الألوان البديعية الرائعة : الطباق بين قوله " يحب " و " يكره " الذي أضفي على الصورة جرساً في اللفظ وتناسباً في المعنى لأنهما يدوران حول قطب واحد هو إخلاص المحبة والطاعة لله وحده وكذلك الطباق بين "الإيمان" و "الكفر" ، أيضاً من الدقائق البلاغية حذف المسند إليه من قوله "يقذف" بالبناء للمجهول لعدم

(1) فتح الباري لابن رجب تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله ٥٠/١ ، ٥١ ط دار ابن الجوزي السعودية الدمام ١٤٢٢هـ ، وينظر تحفة الأحوذى ٣١٢/٧ ، وعمدة القاري ٣٩٧/١ .

(2) روضة المحبين لابن القيم ٢٠٠/١ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

تعلق الغرض بذكره لأن توقع الخطر مع الجهل بمصدره أشد وقعاً في النفوس كما أنه يجعل العقل يذهب في تصوره كل مذهب .
كذلك " أل " في الإيمان والكفر في قوله : وجد حلاوة الإيمان ، وقوله " أن يعود في الكفر " للعهد الذهني كذلك بناء الفعل " يعود " للمعلوم إشارة إلي أن العود إلى الكفر إنما يكون باختيار الإنسان وإرادته وبنائه للمجهول في " يقذف " إشارة إلى أن هذا الأمر داخل تحت الإكراه والإرغام ، كذلك الاحتراس في قوله " لا يحبه إلا الله " الذي يخلص ثمرة المحبة من شائبة الأغيار ، والله تعالى أعلم .

المبحث الثالث : خصال تستوجب المحبة

أولاً : الهدية من موجبات المحبة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلي الله عليه وسلم - يقول ((تهادوا تحابوا))^(١).

في هذا الحديث الشريف موعظة بليغة يهدف الرسول الكريم من خلالها إلى لم شمل المجتمع المسلم وتقوية الرابطة بين أفراده حتى يكون كالبنيان المرصوص فقد حدثنا في هذا البيان النبوي على تبادل الهدايا ذكرا دورها وما تعقبه في النفوس وما لها من شأن في تقوية النسيج الاجتماعي وإشاعة روح الألفة والمودة بين أفراد المجتمع والهدية - كما ورد في معاجم اللغة " واحدة الهدايا يقال أهديت له وإليه وهي مقرونة بما يشعر إعظام المهدي إليه وتوقيره "^(٢).

وقال الراغب " والهدية مختصة باللطف الذي يهدي بعضنا إلى بعض "^(٣). أي ما كان على وجه الإتحاف والبر والإكرام وذكر بعض أهل العلم أن الهدية سميت هدية لأنها تدل على تقويم الوداد "^(٤) والهدية تجمع على هدايا أما التهادي فهو مصدر وهو بمعنى المهاداة قال الإمام البغوي في تفسيره " والهدية هي العطية على طريق الملاطفة "^(٥) وقال ابن قدامة في المغني هي " تمليك في

(١) الأدب المفرد للبخاري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي باب قبول الهدية ٢٠٨/١ دار البشائر الإسلامية بيروت ط الثالثة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ، والسنن الكبرى للبيهقي باب التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس ط مجلس دائرة المعارف النظامية ط أولى ١٣٤٤ هـ .

(٢) ينظر لسان العرب ٣٥٣/١٥ ، والصاح ٣٨٤/٧ ومعجم الفروق اللغوية للعسكري ٥٥٦/١ .

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني ٤٧٣/٢ .

(٤) ينظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج بن الجوزي تحقيق محمد عبد الكريم كاظم - الراضي ٦٢٩/١ ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط أولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

(٥) تفسير البغوي (معالم التنزيل) تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ١٦٠/٦ ط دار طيبة للنشر والتوزيع ط رابعة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

الحياة بغير عوض ^(١) وحكمها أنها مستحبة عند أهل العلم كما ذكر ذلك ابن قدامه ^(٢) وقال القرطبي - رحمه الله - والهدية مندوب إليها وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة ... ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس وتكسب المهدي والمهدي إليه رنة في اللقاء والجلوس ^(٣) والبيان النبوي إذ يحثنا على الهدية ويرغبنا فيها إنما يهدف إلى إيجاد المحبة بين المسلمين وتقوية الأواصر بينهم وربط القلوب ببعضها حتى تقوي علاقتهم وتزيد مودتهم ولهذا نرى البيان النبوي يؤثر التعبير الذي يضمن هذه الدلالة فلم يأمرنا بالهدية من طرف واحد - اهدوا - مثلاً ولكن من الطرفين لتؤتي الهدية ثمرتها من التقريب والتحبب فقال : تهادوا - بفعل الأمر الذي يدل على الاستحباب والترغيب والحث على بذل الهدية ويدل كذلك على صدوره من اثنين أي ليهدي كل منكم الآخر فهو تفاعل بمعنى المهاداة قال أهل العلم " تهادوا أمر من التهادي بمعنى المهاداة أي ليعط الهدية ويرسلها بعضكم لبعض فإن الهدية تذهب الضغائن جمع ضغينة وهي الحقد أي تزيل البغض والعداوة وتحصل الألفة والمحبة .. قال الطيبي وذلك لأن السخط جالب للضغينة والحقد والهدية جالبة للرضا فإذا جاء سبب الرضا ذهب سبب السخط ^(٤) وفي إسناد الفعل إلى واو الجماعة دليل على طلب تعميم هذا الفعل ونشره وإشاعته بين عموم الناس فهذا الأمر لا يخص جماعة دون أخرى ولا يتوجه إلى فصيل من البشر دون سواهم حتى لا يظن أن هذا الأمر قاصر على من يتاح لهم ذلك ومن تتيسر لهم أسبابه من اتساع ذات اليد مثلاً ولهذا نجد في البيان النبوي دليلاً على

(١) ينظر المغني ٢٧٣/٦ ط دار الفكر بيروت ط أولي ١٤٠٥هـ وينظر القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً لسعدي أبو جيب ٢٥٣/١ ط دار الفكر دمشق سورية ط ثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م .

(٢) ينظر المغني ٢٧٣/٦ .

(٣) ينظر تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ١٣/١٩٩ ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م وينظر المجموع شرح المذهب للنووي ٣٦٧/١٥ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٤) ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا على القاري ٩/٤٧٩ وما بعدها وينظر تحفة الأحوذى ٢٧٥/٦ .

بذل الهدية مهما كانت قيمتها وذلك من خلال حذف المفعول لتهادوا والذي يدل على التعميم وبهذا فكل ما تيسر لك إعطاؤه وسهل عليك إهداؤه فهو داخل في الحكم ومؤد للغرض ويحصل به ما ترتب عليه من تحقيق المحبة وتقدير المودة وقد جاء جواب هذا الأمر في قوله - صلي الله عليه وسلم - تحابوا وأصله تتحاببوا حذفت إحدى التائين تخفيفاً وأدغمت الباء ان ولعل في حذف إحدى التائين إشارة إلى خفة هذا الفعل الذي ترتب علي التهادي وإذا كان ما ترتب علي التهادي سهلاً وخفيفاً كان ما تسب فيه سهلاً وخفيفاً من باب أولى وربما كان في إدغام البائين وصيرورتها واحدة مضعفة ما يشير إلى فعل الهدية وأثرها في المجتمع فهي تصيره كله نسيجاً واحداً وتضاعف من قوته ونأهيك عن الجزاء المضاعف لكل المتهادين والمتحابين وإذا ما تهادي الجميع امتثالاً للأمر النبوي تحقق لهم جميعاً المحبة والمودة والنبى الكريم لم يندبنا إلى ما يشق علينا فقد فتح لنا باب الهدية على مصراعيه حتى لا يتعلل أحد بضيق ذات اليد أو يدعي صعوبة هذا الأمر ودليل ذلك ما ورد في البيان النبوي من قوله - صلي الله عليه وسلم - "يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة"^(١) والفرسن "هو من البعير بمنزلة الحافر من الدابة"^(٢).

وقال ابن الجزري "وهو عظم قليل اللحم وهو خف البعير كالحافر للدابة وقد يستعار للشاة فيقال فرسن شاة والذي للشاة هو الظلف"^(٣) والمعني لا تستصغرن شيئاً تقلمه هبة فتمتّع منها فهل بعد هذا الترغيب في بذل الهدية والهبة شئ يذكر وكذلك في قبول الهدية وإن كانت قليلة ورد قوله - صلي الله عليه وسلم - "لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلى كراع لقبّلت"^(٤) والكراع "ما دون الكعب من الدابة وما دون الركبة من

(1) صحيح البخاري كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب فضل الهبة ٤٣٥/٦ ، وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره ٩٣/٣.

(2) الصحاح للجوهري ٢٧/٧ .

(3) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ٨٢٥/٣ ط المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م وينظر لسان العرب ١٥٩/٦ .

(4) صحيح البخاري كتاب النكاح باب من أجاب إلى كراع ١١٥/١٣ .

الإنسان ^(١) وهو أيضاً " من الغنم والبقر بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستنق الساعد ^(٢) إلي هذا الحد بلغ النذب والاستحاب في بذل الهدية وفي قبولها طلباً للمحبة وجلباً للمودة ولعل في وقوع قوله - صلي الله عليه وسلم - تحابوا جواباً للأمر تهادوا ما يدل على تحقق هذا الجواب إذا وقع المأمور به وتحقق وهو التهادي فإن الإنسان متي أقبل على الهدية ومنحها أخاه تقرباً وتحبباً فقد حصل ثمرة ذلك وهو التحاب والتواد وهذا هو المأمول من وراء هذا الأمر وقد تكلم العلماء في الهدية والتهادي وكل ذلك تحصيل لإيجاب المحبة في النفوس وزرع المودة في القلوب وقد قال الجاحظ " والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتتفي الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو إلى القطيعة والهدية تصير البعيد قريباً والعدو صديقاً والبغيض ولياً والثقل خفيفاً والعبد حراً والحر عبداً ^(٣) وقالوا : في نشر المهاداة طي المعادة وقد ذكر ابن الأثير في رسالة يذكر فيها الهدية قال " والهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وقد قيل : أخت السحر في ملاطفة قصدها غير أنها لا تحتاج إلى نفثها ولا إلى عقدها ^(٤) وختاماً أقول : الهدية مستحبة إن لم تكن سنة وذلك إذا أريد بها وجه الله تعالى ومن محاسنها أنها سبب للتحاب والتواد وأنها تسل السخيمة وقد أهدى النبي - صلي الله عليه وسلم - للنجاشي حلة وأواقي من مسلك ^(٥) .

وكان - صلي الله عليه وسلم - يقبل الهدية ويثيب عليها ومن محاسنها أنها تقوي الصلة ومتي قويت الصلة سارت الأمة بقدم ثابتة فحسن الصلة بين أفراد الأمة سر نجاحها ومن محاسنها وفرة الثقة بين المتهادين إلى غير ذلك . والله أعلم .

-
- (1) أساس البلاغة للزمخشري تقديم د/ محمود فهمي حجازي ٣٠٣/٢ ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٣ م .
 - (2) ينظر المصباح المنير للفيومي ٥٣١/٢ ط المكتبة العلمية بيروت بدون ، وينظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ١٣٧٤/١ .
 - (3) المحاسن والأضداد للجاحظ ٢٣٨/١ ط مكتبة الخانجي القاهرة مصر ط ثانية ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .
 - (4) المثل السائر تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ٣٢٦/١ ط المكتبة العصرية بيروت ط ١٩٩٥ م .
 - (5) ينظر المستدرك للحاكم تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ٣٣٨/٢ ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .

ثانياً : الزهد من موجبات المحبة

عن سهل بن سعد الساعدي قال أتى النبي - صلي الله عليه وسلم - رجل فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبنى الناس فقال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - : ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك^(١).

في هذا الحديث الشريف يوجهنا الرسول الكريم - صلي الله عليه وسلم - إلى طريق تحصيل محبة الله وإدراك محبة الناس ففي هذا الحديث وصيتان عظيمتان إحداهما الزهد في الدنيا والثانية الزهد فيما في أيدي الناس فالأول مقتض لمحبة الله تعالى والثاني مقتض لمحبة الناس والظاهر من الحديث أن الزهد في كلتا الحالتين سبب وموجب من موجبات المحبة سواء كانت من الله تعالى أو من الناس، والبيان النبوي إذ يوجهنا إلى ذلك إنما يريد لنا أن نحصل على عليا المنازل فالتعبير بلفظ رجل على التكرير والإبهام مما يعلي قيمة المنزلة المرادة في الحديث ويجعلها قريبة التداول من كل نفس إنه مجرد رجل أتى النبي - صلي الله عليه وسلم - وكل همه وما يشغله هو طلب محبة الله ومحبة الناس كيف يحصلها؟ وكيف يبلغها ؟ وليت شعري إن كان هذا أمراً هيناً ، وقد توجه الرجل إلي المعلم الأعظم - صلي الله عليه وسلم - يطلب منه على سبيل الاسترشاد والتوجيه أن يبين له العمل الذي إذا عمله أوصله إلى هذه المكانة العظيمة وحصل به محبة الله له ومحبة الناس فقال دلني أي أرشدني إلى الطريق والدلالة في معاجم اللغة " ما يتوصل به إلى معرفة الشيء يقال دله على الشيء يدلّه دلاً ودلالة : سده إليه .. والدليل : الدال "^(٢) وقال ابن فارس " الدال واللام أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها .. والدليل الأمانة في الشيء "^(٣) وفي قوله : دلني على عمل ما يشعر أن الصحابي فقه أن محبة الله تعالى للعبد

(1) سنن ابن ماجة تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي ومزيلة بأحكام الألباني عليها

١٣٧٣/٢ ط دار الفكر بيروت .

(2) ينظر لسان العرب ٢٤٧/١١ ، ومفردات الراغب ٣٤٩/١ .

(3) مقاييس اللغة ٢٥٩/٢ .

تكون بالعمل وهذا خلاف ما يدعيه البعض أنه يكتفي بما يقوم في القلب وإن كانت الأعمال مخالفة لذلك بل إنما يحصل حب الله جل وعلا للعبد بعمل قلبي وعمل بدني من العباد ، وفي تنكير قوله : " عمل " ما يشير إلى شديد الرغبة في نفس هذا الرجل في أن يحصل هذه المكانة بأي عمل كان وقد يكون التنكير للتعظيم يدل على ذلك ما يترتب عليه من محبة الله تعالى وهذا أمر عظيم يجدر أن يكون الموصل إليه عظيماً أيضاً ثم محبة الناس وهو من الأهمية بمكان وهذا ما أميل إليه وتتبدى الهمة العالية في قوله إذا أنا عملته وما تفيدته إذا من التوقع والتحقق وليس هذا لخفة العمل أو لسهولته ولكن لانفساح نفس هذا الرجل وقوة رغبته في إنجاز أي عمل لتحقيق الغاية التي يطلبها فهو يعلن أن أي عمل سيقوم به مادام أنه سيحقق من خلاله ما يريده ، ولهذا فإن المعلم - صلي الله عليه وسلم - يضع يده على عمل من أعمال القلوب وهي إذا ما قورنت بأعمال الجوارح رجحت بها هذا العمل هو الزهد وهو وإن كان فيما يبدو للناظر من الوهلة الأولى سهلاً إلا أنه لا يستطيعه كل أحد والدعوة إلى الزهد دعوة إلى التقليل من الدنيا والتجرد من متاعها الزائل والنظر إلى ما يبلغ للأخرة وما يدخر لها وقد احتفل الشرع الحنيف كتاباً وسنة بقضية الزهد في الدنيا وضمها وعدم التعويل عليها قال ابن القيم " والقرآن مملوء من الترهيد في الدنيا والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها والترغيب في الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإثارة ^(١) وأما الأحاديث النبوية التي رغبت في الزهد في الدنيا وضمها والتعلق بها والانشغال بجمع فضولها عن أمر الآخرة فكثيرة ولهذا تواردت أقوال الأئمة وأهل العلم من السلف الصالح في التحذير من الاغترار بالدنيا والافتتان بزینتها والحث على علو الهمة والتجافي عن الدنيا والانشغال بما هو أنفع وأبقى من العمل الصالح وإذا كان لهذه الفضيلة الزهد منزلة عظيمة - إذ بها يتحقق محبة الرب للعبد ثم محبة الناس كثرة من محبة الله للعبد - توجب أن أتوقف عند هذه اللفظة أبين ما

(١) مدارج السالكين ٩/٢ ، ١٠٠ .

ورد في معناها عند علماء اللغة ثم أذكر ما قاله العلماء في حقيقتها وقد جاء في معاجم اللغة " زهد في الشيء رغب عنه وفلان زاهد زهيد بين الزهادة والزهد هي قلة الطعم وهو خلاف الرغبة .. ورجل زهيد وامرأة زهيدة وهما القليل طعمهما .. والتزهيد في الشيء خلاف الترغيب فيه وزهده في الأمر رغبه عنه ... وفلان يتزهّد أي يتعبّد وشئ زهيد قليل والزاهد في الشيء الراغب عنه والراضي منه بالزهيد أي القليل" ^(١) وقال ابن فارس " الزاء والهاء والذال أصل يدل على قلة الشيء والزهد الشيء القليل وهو مزهد قليل المال" ^(٢) ونخلص من كل هذا أن الزهد خلاف الرغبة ويدل على قلة الشيء والتقليل منه وإبداء الرغبة عنه وهكذا ينبغي أن يكون حال المؤمن مع الدنيا ينقلل منها قدر المستطاع ويعزف عنها ولا يهتم بشأنها ولا يلهث وراءها فهي متاع زائل والأمر في قوله - صلي الله عليه وسلم - ازهد يدل على النصيح والإرشاد والتوجيه والزهد في الدنيا قد تكلم الناس حوله كثيراً - قديماً وحديثاً - وكل منهم يصف ما يحسه نحو هذه الصفة وسأعرض لبعض الأقوال فيه وأشهرها قال ابن القيم " وقد أكثر الناس من الكلام في الزهد وكل أشار إلى ذوقه ونطق عن حاله وشأهه فإن غالب عبارات القوم عن أدواقهم وأحوالهم والكلام بلسان العلم أوسع من الكلام بلسان الذوق وأقرب إلى الحجة والبرهان" ^(٣) ومن أقوال العلماء في الزهد قول سفيان الثوري " الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء" ^(٤) ومعني هذا أن أمل الإنسان إذا طال استبدت به الحياة فانشغل بها واعتمل فكره فيها وهذا سيكون حتماً على حساب الآخرة غير أن قصر الأمل أولي حتى يتفرغ لعمل الآخرة فيجعل الدنيا معبراً للآخرة وقال ابن

(1) ينظر أساس البلاغة ٤١٣/١ ، والعين ١٢/٤ ، والصحاح ٤٣/٣ ، ولسان العرب

١٩٦/٣ ، ومفردات الراغب ٤٤٠/١ .

(2) مقاييس اللغة ٣٠/٣ .

(3) مدارج السالكين ١٠/٢ .

(4) ينظر تفسير الثوري لسفيان الثوري ١٧/١ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م وينظر البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٨ ط مكتبة المعارف بيروت .

الجلاء " الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها " (١) .

ومعني هذا ألا يكبر من شأنها مادامت زائلة فإن أكبرها عظمت في عينه فامتلاً بها فؤاده وعز عليه الإعراض عنها وقال الجنيد " هو خلو القلب عما خلت منه اليد" (٢) وقال عبدالله بن المبارك " هو الثقة بالله مع حب الفقر " (٣) ومعني هذا أن الثقة في الله خالقاً ورازقاً يكفك من جموح النفس خلف مباحج الحياة ويفطمها من التطلع لتحصيل وكسب ما له فيها فتهدم ثورتها وتقل رغبتها ويتقطع التعلق بها وبمتاعها ويتحبب إليه الشطف والفقر ، وقال أبو سليمان الداراني "ترك ما يشغل عن الله" (٤) وكان مما أعجبني في معني الزهد قول الإمام أحمد - رحمه الله - " الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله عز وجل وهو زهد العارفين " (٥) .

قال الإمام ابن القيم بعد عرضه كلام الإمام أحمد - رضي الله عنه - " وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة

(1) ينظر الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية لمحمد منير أغا الدمشقي ١٦٥/١ ط دار ابن كثير دمشق بيروت ، وينظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٨٩/٦ ط دار الفكر بيروت لبنان ط أولي ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

(2) ينظر بصائر نوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ٨٤٧/١ ، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي تحقيق محمود محمد الطناحي ٢٦٤/٢ ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط ثانية ١٤١٣هـ وينظر الإتحافات السنية ١٦٥/١ .

(3) ينظر كتاب الزهد الكبير للبيهقي تحقيق عامر أحمد حيدر ٧٩/١ ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٩٩٦م وينظر مدارج السالكين ١١/٢ .

(4) ينظر مدارج السالكين ١١/٢ ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي تحقيق ماهر ياسين الفحل ٢٩/٣٣ .

(5) ينظر الآداب الشرعية والمنح المرعية لأبي عبدالله المقدسي تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ٢٣١/٢ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٧هـ ١٩٩٦م وينظر شرح منهج البلاغة لابن أبي الحديد تحقيق محمد عبد الكريم النمري ٣٢٠٣/١ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

تفصيله وتبيين درجاته وهو من أجمع الكلام^(١) وقد ذكر الإمام ابن تيمية في معني الزهد أنه "ترك ما لا ينفع في الآخرة"^(٢) وأختم بما استحسنته ابن القيم وهو قول الحسن البصري - رحمه الله - أو غيره في الزهد حيث قال "ومن أحسن ما قيل في الزهد .. ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصيبك"^(٣) .

وقوله - صلي الله عليه وسلم - : ازهد في الدنيا سار على كل هذه المعاني السابقة وذلك أولي لتحقيق محبة الله للمرء لأن حب الله للعبد لا بد أن يضحى في سبيله بكل متاع ولاسيما إذا كان بائداً فإذا ما فعل الإنسان ذلك وخلع رداء الدنيا من عنقه وتوجه نحو الله بقلبه وتخفف من حب الدنيا حصل له ما يريده من محبة الله له قال النبي - صلي الله عليه وسلم - جواباً على ازهد - يحبك الله وفي التعبير بصيغة المضارع دلالة على تجدد هذه المحبة وحدوثها وفي التنصيص على الفاعل "الله" مع علمه من ظاهر السياق ومع إمكان إضماره إبهاج وإغراء بالتوجه بالقلب نحو الله تعالى وقطع كل العلائق الفانية وإيناس وتقدير لصدور هذا الفعل من الله حقيقة وفيه من التشريف والحظوة لهذا المحبوب من الله ، قال أهل العلم "ازهد في الدنيا باستصغار جملتها واحتقار جميع شأنها والإعراض عنها بالقلب يحبك الله لأنه تعالى يحب من أطاعه وطاعته لا تجتمع مع محبة الدنيا لأن القلب بيت الرب فلا يجب أن يشرك في بيته غيره"^(٤) ومعني حب الله للعبد هو الحب الذي يليق بجلاله وعظمته يحب

(1) مدارج السالكين ١٣/٢ .

(2) مدارج السالكين ١٠/٢ .

(3) ينظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم تحقيق عمر بن محمود أبوعمر ٣٨١/١ ط دار ابن القيم - الدمام ط ثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ ، والبحر المديد لابن عجيبة ٤٠/٦ ط دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .

(4) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ٢٨٧/١ ط مكتبة الإمام الشافعي الرياض ط ثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .

لا حاجة لمحبوبه أو لضعفه مع محبوبه وإنما يحب جلّ وعلا لخير يسوقه إلى من يحب فحبه جلّ وعلا كمال لا حاجة بل هو كمال غني وعن كمال اقتدار فيحب عبده لتقرب العبد منه وحب الله تعالى للعبد من ثمراته أن يكون مع العبد المعية الخاصة قال الإمام الطيبي - رحمه الله - " وفيه دليل على أن الزهد أعلى المقامات وأفضلها لأنه جعله سبباً لمحبة الله تعالى وأن محب الدنيا متعرض لبغض الله سبحانه " (١) وقوله - صلي الله عليه وسلم - وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك توجيه ثان ليتحصل للسائل ما يطلبه ويتغياهم وذلك بترك الدنيا فإنه ليس في أيدي الناس شيء يتباغضون عليه ويتنافسون فيه إلا الدنيا ولأنها كذلك محبوبة إلى الناس " فمن يزاحمهم فيها يصير مبغوضاً عندهم بقدر ذلك ومن تركهم ومحبوبهم يكون محبوباً في قلوبهم بقدر ذلك " (٢) .

ومن دقائق هذا التعبير النبوي الدقة في اختيار اللفظة المناسبة وهي كلمة الزهد والتي يكون مدارها على صحة اليقين بالله الرازق وعلى قوة هذا اليقين فمن كان قوي الإيمان صحيح اليقين وثق بالله في أموره كلها وأحسن التوكل على الله وترك المزاحمة على فضول الدنيا وانشغل بمحاب الله تعالى من أنواع العبادات فإذا انشغل بذلك ورضي بما قسم الله له من نعيم الدنيا ووطن نفسه على القناعة بما رزق منها وعلى التقلل من أمرها والترفع فيها على الناس ارتاح قلبه وذلك أن الاستكثار منها مما يجلب الهم والغم وكذلك لما توافقت الجملتان في الإنشائية لفظاً ومعني حسن عطف الثانية على الأولى وقد ذكر الإمام الدارقطني في منزلة هذا الحديث قال " أصول الأحاديث أربعة هذا منها " (٣) . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨٠/١٥ .

(2) ينظر حاشية السندي على ابن ماجه ٤٦٢/٧ .

(3) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ٢٨٧/١ .

المبحث الرابع : ثمرات المحبة وفوائدها

أولاً : المحبة تجعلك بمنزلة من تحب

عن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً سأل النبي - صلي الله عليه وسلم - عن الساعة ((فقال متي الساعة قال ومذا أعددت لها قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله - صلي الله عليه وسلم - فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي - صلي الله عليه وسلم - أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي - صلي الله عليه وسلم - وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم))^(١).

هذا الحديث الشريف يفتح الباب واسعاً أمام المحبين حيث يشملهم الله تعالى بعنايته فيجمع كل حبيب مع حبيبه وإن قصرت الأعمال فيها هو الأعرابي يأتي النبي - صلي الله عليه وسلم - يسأله عن قيام الساعة وكله شوق إلى أن يجتمع مع من يحبهم فهو يحب الله ورسوله ويرى أن أعماله قليلة تقصر به عن مقام هذه المحبة إلا أنه لما كان صادقاً في محبته بشره - صلي الله عليه وسلم - بأن المحبة كفيلة بأن تجمع المحبين فقال له أنت مع من أحببت يقول النووي عن هذا الحديث " فيه فضل حب الله ورسوله - صلي الله عليه وسلم - والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات "^(٢) كما أن في هذا الحديث الشريف بشري ضمنية لهذا السائل بأنه من أهل الجنة إذ مكان اجتماع المحبين في الآخرة هو الجنة ، والحديث هنا قائم على الأسلوب القصصي فالحوار والسؤال والجواب هو العنصر الرئيس في إظهار البراعة والبلاغة النبوية في هذا الحديث ويبدأ الحوار بتوجيه الأعرابي السؤال للنبي - صلي الله عليه وسلم - ويبدو في السؤال طرافة وغرابة إذ لم يسأله عن أمر يخصه في أمور دينه بل سأله عن قيام الساعة والسؤال هنا يحمل على التعجل والاستبطاء فهو شديد الشوق

(1) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب ٢٢٤/٩ وصحيح

مسلم كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب ٢٠٣٢/٤ .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٦/١٦ .

والتوق لأحبابه الذين رحلوا وكم يود أن يلحق بهم ولعل الرسول الكريم قد تفرس حاله وفهم ما يريد فأجابه بعد بما يتغياه ويتمناه وطبعي أن لا يُحمل هذا السؤال على الإنكار والتكذيب فهذا شأن المشركين فيما حكي القرآن الكريم عنهم { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا }^(١) ولما كان السؤال في ظاهره غريباً تلقاه النبي - صلي الله عليه وسلم - بغير الجواب الذي يتوقعه السائل فقال له الرسول - صلي الله عليه وسلم - وماذا أعددت لها ؟ وهذه الطريقة في الجواب بغير المتوقع يسميها علماء البلاغة بأسلوب الحكيم^(٢) قال الإمام الطيبي " سلك مع السائل طريقة أسلوب الحكيم لأنه سأل عن وقت الساعة وأيان إرسائها فقل له فيم أنت من ذكر أما وإنما يهملك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند إرسائها من العقائد الحقة والأعمال الصالحة "^(٣) ولقد جاء هذا الأسلوب الحكيم في مكانه المناسب حيث لفت السائل إلى حقيقة القضية فليس أمر قيام الساعة هو القضية لأنه محسوم لا تأخير فيه ولا تغيير وإنما مرد علمه إلى الله تعالى وحقيقة القضية هي ماذا أعددت لها ؟ أي من الأعمال والرجل كان صادقاً مع نفسه فلم يدّع أنه على أتم الاستعداد لهذا اليوم فأجاب بما هو حاله في العبادة (كما) ورد ذلك في رواية أخرى للحديث فقال " ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة "^(٤) غير أنه قد جاء بشفيغ يجبر معه كل تقصير فقال ولكني أحب الله ورسوله فيألها من كرامة أعطاه الله تعالى لهذا

(1) سورة الأعراف من الآية رقم ١٨٧ .

(2) هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولي بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولي بحاله أو المهم له " ينظر الإيضاح للقزويني ٧٦/١ ط دار إحياء العلوم بيروت ط رابعة ١٩٩٨ وينظر خزائن الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي تحقيق عصام شعيثو ٢٥٨/١ ط دار الهلال بيروت ط أولي ١٩٨٧م وخصائص التراكيب للشيخ محمد أبو موسى ٢٣٦/١ ط مكتبة وهبه ط سابعة .

(3) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح للإمام الطيبي ٢٣٣/٩ وما بعدها ط دار الكتب العلمية ط أولي ٢٠٠١ م .

(4) صحيح البخاري ٤١٨/١٥ .

الرجل حيث منحه الله قلباً أحب الله ورسوله واستحق على أثره البشري العظيمة حيث قال له أنت مع من أحببت إنها البشري التي يود لو سمعها كل أحد وهي إن كانت كلمات معدودة إلا أنها تحمل كمّاً كبيراً من البشارات أولها : البشري الضمنية أن هذا الرجل من أهل الجنة لأن المعية في قوله " أنت مع من أحببت " تقتضي مكاناً ومكان صحبة النبي - صلي الله عليه وسلم - في الآخرة هو الجنة ومصدق ذلك قوله تعالى { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } (١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية أنه روي في الأثر أن أصحاب النبي - صلي الله عليه وسلم - قالوا قد علمنا أن النبي - صلي الله عليه وسلم - له فضل على من آمن به في درجات الجنة ممن اتبعه وصدقته فكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يري بعضهم بعضاً فأنزل الله هذه الآية فقال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - بأن الأعلىين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم فيجتمعون في رياض الجنة فيذكرون ما أنعم الله عليهم (٢) .

ثانيهما : تخصيصه بضمير الخطاب " أنت " الموضوع لمخاطب معين يؤكد على أنه هو صاحب البشري فخاطبه بما يفيد القطع واللزوم " أنت - أي أيها السائل - مع من أحببت " .

ثالثها : حذف المفعول في قوله : أحببت يوحى بالعموم والشمول وذلك ليفتح أمامه الباب واسعاً من الاجتماع مع كل من أحبه من أهل الجنة .

رابعها : هذه البشري وإن كانت خاصة في هذا الحديث إلا أنها تسرى على كل من كان حاله كحال هذا السائل وكانت محبته لله ولرسوله خالصة فالمؤمن الذي يحب الله ورسوله يجمعه الله عز وجل بهم في الجنة بفضل هذا الحب ومصدق ذلك ما رواه البخاري ومسلم قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - جاء رجل إلى رسول الله - صلي الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم فقال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - المرء

(1) سورة النساء الآية رقم ٦٩ .

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٢٢/١ ط دار إحياء الكتب العربية .

مع من أحب" ^(١) قال الإمام العيني " مع من أحب أي في الجنة يعني هو ملحق بهم داخل في زميرتهم ألقه - صلي الله عليه وسلم - بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة" ^(٢) وقال ابن بطال " فيه أن من أحب عبداً في الله فإن الله يجمع بينهما في جنته وإن قصر عن عمله وذلك لأنه لما أحب الصالحين لأجل طاعتهم أثابه الله ثواب تلك الطاعة إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم" ^(٣) فانظر إلى العموم في قوله : المرء مع من أحب الذي جعل الحب في الله قاعدة يندرج تحتها كل من صفت نفسه ورقت مشاعره فأخلص في هذه العلاقة وجعلها لله فلم يقل مثلاً : هو مع من أحب حتى يعود الضمير إلى الرجل المذكور في أول الحديث " كيف تقول في رجل ... " لكنه قال : المرء مع من أحب يشمل جنس المحبين أجمعين هدايا الله جميعاً إلى حبه وحب رسوله - صلي الله عليه وسلم - والصالحين من عباد الله حتى ندرك بذلك درجتهم وإن قصرت أعمالنا . والله أعلم .

(1) صحيح البخاري كتاب الأدب باب علامة حب الله عز وجل ٤١٦/١٥ وصحيح مسلم باب المرء مع من أحب ٤٣/٨ .

(2) عمدة القارئ للعيني ٣٨٣/٣٢ .

(3) شرح صحيح البخاري لابن بطال تحقيق أبوتميم ياسر بن إبراهيم ٣٣٣/٩ ط مكتبة الرشد السعودية الرياض ط ثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

ثانياً : ترتيب الأجر العظيم على المحبة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلي الله عليه وسلم - قال ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العدل وشاب نشأ في عباده ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق أخفي حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه))^(١).

في هذا الحديث الشريف يرشدنا الرسول الكريم إلى ما نحصل به النجاة والفوز يوم القيامة يوم " تذنو الشمس من الرأس وهو - كما هو معلوم - أشق الأيام على الخلائق وأكثرها شدة إذ لا مكان يأوون إليه ولا ظل فيفئون إليه ، وعند ذلك تبرز رحمة الله لفئة من عباده فيفضل عليهم بأن يكونوا في ظله بسبب أعمال عملوها في الدنيا وتحديد الرسول الكريم لهذه الأعمال فيه إشارة إلى عظمها وفضلها عند الله تعالى من بين هذه الأعمال إخلاص المحبة لله سبحانه وتعالى وذلك في قوله - صلي الله عليه وسلم - " ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه " ولعلك تلاحظ فضل هذه المحبة وعلو منزلتها عند الله من خلال عد النبي - صلي الله عليه وسلم - ضمن هذه السبعة على الرغم من أنها عمل قلبي لا يكلف الإنسان جهداً أو مشقة في حين أن معظم الأعمال السبعة تحتاج إلى صبر ومجاهدة نفس ولعل توسط هذه الخصلة بين هاتيك السبعة مما يشير إلى أنها أشبه بواسطة العقد ، ويبدأ الحديث بداية خبرية " سبعة يظلهم الله .. والغرض الفائدة حيث ألقى مجرداً من التوكيد لأنه موجه إلى مخاطبين خالي الذهن غير شاكين ولا منكرين وهذه الجملة الاسمية التي بدأ بها الحديث تثير الاهتمام وتوقظ العقول وتدعو كل مستمع إلى متابعة بقية الحديث في شوق وأمل أن يكون ضمن هذا الأصناف السبعة الذين فازوا بظل عرش الرحمن وكانوا من الله في هذا اليوم بمكان فهو تشويق بطريق الإيهام الذي سيوضح في تعداد هذه الأصناف السبعة وتظهر قيمة وبلاغة التشويق عن طريق الإيضاح

(1) صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ٧١/٢ وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة ٩٣/٣ .

بعد الإبهام في كونه يساعد على تجلية المعني وترسيخه وتقريره وتنشيط السامع وحفزه إلى المتابعة والمواصلة في يقظة وانتباه وذلك عن طريق عرض المعني في صورتين الأولى جملة مبهمة والثانية مفصلة موضحة وقد أدرك العلماء القيمة البلاغية لهذه الصورة فيها هو الشيخ عبدالقاهر يشير إلي روعة الأسلوب الذي يعتمد التشويق والتنبية والإثارة حيث يقول : " وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلاً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له لأن هذا يجري مجري تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ومن هنا قالوا إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان أفخم له من أن يذكر من غير مقدمة إضمار " (١) .

وقال الشيخ أبو موسى " الإبهام والخفاء الذي يعده العلماء مزية .. ليس هو الإلغاز والتعمية وإنما هو أن تستشرف المعني الذي يلوح لك من بعيد وحوله غيوم بيضاء أو تلفة أقنعة رفاق تخفي عنك منه جانباً وتبدي لك آخر فتظل مشغولاً به مولعاً بالقرب منه مندفعاً إلى معرفته وفي ذلك متعة الفن والأدب " (٢) وهذه الصورة تسمى بالتوشيع (٣) وقد زاد البيان النبوي من الإيغال في الإبهام بأن حذف المضاف إليه الذي ناب عنه التتوين في قوله : سبعة إذ التقدير سبعة أصناف ولعل السر في الحذف هو إرادة التعميم والشمول حتى يتيح الفرصة أمام المؤمنين جميعاً رجالاً ونساءً وفي هذا دليل على سعة رحمة الله حيث جعل الطريق إلى الظل له سبعة أبواب ليسهل الأمر على المتسابقين إليه والمسارعين نحوه فمن لم يستطع الوصول إليه من واحد سلك إليه باباً آخر وفي قوله : سبعة ظاهره اختصاص المذكورين بالثواب ونقل ابن حجر ووجهه الكرمانى بما محصله أن الطاعة إما أن تكون بين العبد وبين ربه أو بينه وبين الخلق والأول إما أن يكون باللسان أو بالقلب أو بجميع البدن والثاني إما أن يكون

(١) دلائل الإعجاز تعليق الشيخ شاکر ص ١٣٢ .

(٢) خصائص التراکیب الشيخ محمد أموسی ص ٣٥٢ ط مكتبة وهبه ط خامسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

(٣) ينظر شروح التلخیص ٢١٦/٣ وينظر البلاغة الفنية د/ علی الجندي ص ١٢٤ ط ثانية ١٩٦٦م .

عاماً وهو العدل أو خاصاً وهو إما من جهة النفس وهو التحاب أو من وجهة البدن أو من جهة المال ^(١) .

أراد كونه باللسان هو الذكر وأراد كونه بالقلب هو المعلق بالمساجد وأراد بجهة جميع البدن الناشئ في العبادة وبجهة المال الصدقة ومن جهة البدن في الصورة الخاصة هي العفة ، كما أن في إسناد الفعل " يُظَلَّ " الواقع على هذه الأصناف في قوله - يظلمهم الله - إلى لفظ الجلالة إشارة إلى اعتناء الله عز وجل بهم وإكرامه لهم حيث أسند الإظلال إليه تعالى مباشرة فهو المتولي لهذا الأمر وإضافة الظل إلى الضمير العائد إلى لفظ الجلالة في قوله " في ظله " إضافة تشريف لهذا الظل ليحصل امتياز هذا الظل عن غيره كما يقال للكعبة بيت الله مع أن المساجد كلها لله تعالى والمقصود بظل الله تعالى : ظل عرشه ويدل عليه حديث سلمان عن سعيد بن منصور بإسناد حسن " سبعة يظلمهم الله في ظل عرشه " ^(٢) ثم كونهم في ظل عرشه يستلزم ما ذكره بعضهم من أن معني يظلمهم الله أي يسترهم في ستره ورحمته تقول العرب أنا في ظل فلان أي في ستره وكنفه وتسمي العرب الليل ظلاً لبرده ^(٣) وحتى يشعر المخاطبون بقيمة هذا الظل وفضل هؤلاء المستظليين وكرامتهم على الله جاء الاحتراس ^(٤) بقوله : " يوم لا ظل إلا ظله " أي أن هذا الظل لا يكون في مكان يوم القيامة إلا تحت عرش الرحمن فإنه لما قال : " يظلمهم الله في ظله " ربما توهم السامع أن هناك

(1) ينظر فتح الباري لابن حجر ١٤٣/٢ وعمدي القارئ ٢٦٩/٨ وينظر الجواهر الهيريرية لأبي يوسف محمد زيد ١٣٥/١ ط ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م .

(2) فتح الباري لابن حجر ١٤٤/٢ وعمدة القاري ٢٦٩/٨ وما بعدها .

(3) ينظر عمدة القاري ٢٧٠/٨ وينظر الصحاح للجوهري ٣٤/٦ وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين ٩٠/٣٨ ط دار الهداية ، وتهذيب اللغة للأزهري تحقيق محمد عوض مرعب ٢٥٧/١٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط أولي ٢٠٠١ م .

(4) هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك " يراجع الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع لصفي الدين الحلبي ص ٣١٦ ط مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط ١٩٨٣ م ، وينظر أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم المدني تحقيق شاكِر هادي شكر ١٨٥/٥ ط مطبعة النعمان والهادي الأشرف بالعراق ط أولي ١٩٦٩ م .

ظلاً آخر فجاء الاحتراس ليدفع هذا الوهم وأنه لا ظل إلا ظل عرشه تعالى وبهذا تظهر الميزة لهؤلاء المستظلين دون غيرهم يقول العيني " والحديث يدل على امتياز هؤلاء السبعة من بين الخلق ولا يكون ذلك إلا يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ودنت الشمس من الرعوس ويشتد عليهم حرها ويأخذهم العرق ولا ظل هناك لشيء إلا ظل العرش " (١) وقد جاء هذا الاحتراس مؤكداً حيث ورد في ثوب القصر بطريق النفي والإثبات - يوم لا ظل إلا ظله - مبالغة في دفع توهم أن يكون هناك ظل لشيء آخر ولو حتى لشيء لا يعتد بظله قصر صفة على موصوف قصراً حقيقياً تحقيقاً وبذلك يكون قد رسم صورة الموقف المهيّب الرهيب الذي لا يجد الناس فيه ما يتقون به حر الشمس المحرقة لتبرز على الجانب الآخر صورة هؤلاء المنعمين في ظل العرش ويظهر فضلهم هذا .. وبعد التشويق وتحريك النفوس لمعرفة تفاصيل هذا الإجمال وإيضاح هذا الإبهام المنطوية عليه لفظة - سبعة - أخذ البيان النبوي في تعدد أوصافهم وتفصيل إجمالهم وبيان أحوالهم فقال : الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه .. إلى آخر هذه الأوصاف ونظراً لطبيعة البحث فسوف أقف عند ما هو منه بسبيل وهو الوصف الأوسط الذي يتعلق بالمحبة بين المؤمنين قال " رجلان تحابا في الله اجتماعاً عليه وتفرقاً عليه " أي أحب كل واحد منهما الآخر لله ومن أجل طاعته وقربه لله لا لسبب دنيوي ولا حاجة شخصية وكان ذلك الحب صادقاً في حال اجتماعهما وكذلك في حال افتراقهما يفهم هذا من صيغة الفعل التي تدل على المشاركة إذ أصلها تحاببا أي اشتركا في جنس المحبة قال أهل العلم " معناه اجتماعاً على حب الله وافتراقاً على حب الله أي كان سبب اجتماعهما حب الله واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما " (٢) وقال ابن حجر " والمراد أنهما داما على المحبة الدينية ولم يقطعاها

(1) عمدة القاري ٢٧٠/٨ .

(2) ينظر شرح النووي ١٢١/٧ وعمدة القاري ٢٧٤/٨ .

بعارض دنيوي سواء اجتمعا حقيقة أم لا حتى فرق بينهما الموت " (١) إذا الحب بينهما متبادل وليس من طرف واحد بدليل هذه الصيغة التي تدل على المشاركة والسبب في تبادل هذا الحب وأنه لله قوله " في الله " أي بسبب كون هذا الحب من أجل الله فمن معاني حرف الجر " في " السببية (٢) كما ورد في قوله - صلي الله عليه وسلم - " في النفس المؤمنة مائة من الإبل " (٣) لقد دلت صيغة تحابا " تفاعلاً " على اشتراك الطرفين في المحبة ثم تبين سبب هذا المحبة بقوله " في الله " ثم جاءت المبالغة في تخلص هذه العلاقة من أي شائبة فجاء قوله " اجتمعا عليه وتفرقا عليه " إيغالاً (٤) رائعاً ليثبت جذور هذه المحبة في تربة الإخلاص التي اجتمعا من أجل الله عليها فهذه الجملة أكدت ووضحت كيفية التحاب في الله ولذا ساغ فصلها عما قبلها لما بينهما من كمال الاتصال وذلك لتتزيلها من الجملة الأولى منزلة عطف البيان من متبوعه وهكذا يعمق - صلي الله عليه وسلم - أواصر الصلة بين المتحابين ويرشدهم إلى الأصل الذي ينبغي أن تكون عليه هذه العلاقة حتى يفوزوا بظل عرش الله يوم القيامة بل ويفوزوا بتكريم الله لهم يوم القيامة حيث ينادي عليهم أمام الخلائق يدعوهم إلى هذا الظل يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " (٥) .

(1) ينظر فتح الباري ١٤٥/٢ وينظر مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ٢٨٦/٢ .

(2) ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ٣٨/٣ ط دار الجيل بيروت ط خامسة ١٩٧٩م وينظر حاشية الصبان ٣٢٤/١ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

(3) ينظر المستدرک على الصحيحين للحاكم تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ٥٥٢/١ ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولي ١٤١١هـ - ١٩٩٠م وينظر الطبقات الكبرى لابن سعد تحقيق إحسان عباس ٨٩/١ ط دار صادر بيروت ط أولي ١٩٦٨م .

(4) هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كالمبالغة " ينظر المطول للنقطة ٤٩٥ ط دار الكتب العلمية ط أولي ٢٠٠١م وجواهر البلاغة للهاشمي تحقيق حسين نجار محمد ص ١٩١ ط مكتبة الآداب ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

(5) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب في فضل الحب في الله ١٢/٨ .

قال ابن حجر " عدت هذه الخصلة واحدة مع أن متعاطيها اثنان لأن المحبة لا تتم إلا باثنين أو لما كان المتحابان بمعنى واحد كان عد أحدهما مغنياً عن عد الآخر لأن الغرض عد الخصال لا عد جميع من اتصف بها "(١) .
أو لأن المحبة أمر نسبي فلا بد لها من المنتسبين فلذلك قال : رجلان ... "(٢) .
هدانا الله إلى العمل بسنة نبيه وجمعنا تحت لوائه وفي ظل عرش الرحمن يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله . والله أعلم .

(١) فتح الباري ١٤٥/٢ .

(٢) عمدة القاري ٢٧٤/٨ .

ثالثاً : المحبة سبب لحصول محبة الله تعالى

عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخاً لي في هذه القرية قال هل لك من نعمة تربها قال لا غير أني أحببته في الله عز وجل قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحببك كما أحببته فيه ^(١).

في هذا الحديث الشريف دعوة كريمة إلى تأصيل القواعد التي ينبغي أن يبني المسلم عليها هذه العلاقة الراقية - علاقة الحب بين المؤمنين " فالبيان النبوي يهدف إلى تنقيتها وتصفيتها وإخلاصها من كل شائبة حتى ترتفع بصاحبها إلى أعلى الدرجات وأفضل المنازل وأي منزلة أعلى وأفضل من منزلة محبة الله لعبده؟ .

وقد سلك الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث أسلوباً راقياً بليغاً يصل بالمخاطب إلى الغرض المطلوب بطريقة عرض العاقبة دون التعرض للأمر المباشر مما يتيح له فرصة التفكير حتى يصل إلى المطلوب باقتناع تام والأسلوب الذي سلكه في هذا الحديث هو أسلوب القص والحكاية الذي هو أحد أساليب الدعوة " وهو أسلوب من أجمل أساليب التصوير وأعمقها أثراً في النفس وذلك أن النفس البشرية ميالة لسماع القصة تجد الأنا والتمتع في متابعة أحداثها وقد تجد فيها ما تريده أو تحياه فيترك فيها التأثير والاستمتاع ما لا تبلغه وسيلة أخرى ^(٢) والقصة هنا تعتمد أسلوب الحوار أساساً تبني عليه فهو يعطي القصة طابع الحيوية والحركة الذي يثير المستمع ويدفعه إلى متابعة الاستماع في شوق وترقب أملاً في الوصول إلى المطلوب من القصة والقصة تبدأ بإخباره - صلى الله عليه وسلم - عن رجل زار أخاً له في قرية أخرى

(1) ينظر الأدب المفرد باب فضل الزيارة ١٢٨/١ ، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة باب

فضل الحب في الله ١٢/٨ ، وصحيح ابن حبان باب الصحبة والمجالسة ٣٣١/٢ .

(2) التصوير الفني في الحديث النبوي د/ محمد لطفي الصباغ ص ٤٩٨ ط المكتب الإسلامي

بيروت ط أولي ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

فقابلته ملك في هيئة رجل وهنا يبدأ الحوار الذي يسير أحداث القصة القصيرة الهادفة :

قال : أي الملك - أين تريد ؟

قال : أي الرجل - أريد أخا لي في هذه القرية .

قال : أي الملك - هل لك من نعمة تربها ؟

قال : أي الرجل : لا غير أني أحببته في الله .

قال : أي الملك - فإنني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه .

والمدقق في هذا الحوار الذي دار بين الملك والرجل يجده قائماً على السؤال والجواب ومن اللطائف البلاغية في هذا الحديث الشريف أولاً : عدم التنصيص على اسم هذا الرجل وإرسال العبارة خالية من التعريف - أن رجلاً ... " وهذا يشير إلى أمر من الأهمية بمكان وهو لفت الأنظار إلى الأفعال لا إلى ماهية الرجال فالعبرة بالفعل وصدوره وتحققه لا ممن صدر وممن تحقق وفي هذا إعلاء لقيمة الفعل في الدين الإسلامي وتحرير لحقيقته وأن العبرة بوقوعه دون النظر إلى من قام به أو وقع منه وهذا من أسرار التذكير في " رجل " ومن دقائق التعبير النبوي إرساله للفظ الأخوة دون تعيين أو تحديد ولعل المراد بها هنا أخوة الدين فهذا أبلغ وأنفع وحتى ينصرف الذهن إليها متى أطلقت فكأنها علم بالغلبة على علاقة الدين والإسلام وحتى لا تنحصر الزيارة بين الأقارب يعني أخوة النسب قال النبي - صلي الله عليه وسلم - فأرصد الله على مدرجته ملكاً قال الزمخشري " تقول رصده إذا قعدت له على طريقه تترقبه " (١) وقال ابن فارس " الرأ والصاد والادال أصل واحد وهو التهيؤ لرقبة شئ على مسلكه " (٢) والمدرجة : الطريق قال النووي " سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمشون ويمشون " (٣) .

(1) الفائق في غريب الحديث للزمخشري تحقيق على البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم

٦٢/٢ ط دار المعرفة لبنان ط ثانية ، وينظر لسان العرب ١٧٧/٣ .

(2) مقاييس اللغة ٤٠٠/٢ وينظر مفردات الراغب ٤٠٣/١ .

(3) شرح النووي ١٢٤/١٦ .

قوله - صلي الله عليه وسلم - فلما أتني عليه قال يعني الملك أين تريد ؟ والملك في الحقيقة يعلم مقصد هذا الزائر ومقصوده ولكنه أراد أن يقرر الرجل بهذا إعلاء لقيمة التزاور وتمهيداً لما يترتب عليه من عظم الجزاء قال العلماء " قوله أين تريد؟ الظاهر أن هذا من باب تجاهل العارف "(١) مع ما فيه من التورية حيث إن مقصوده الأصلي من تريد ؟ ولما كان من القواعد المقررة أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره والإناء يترشح بما فيه قال أي الزائر أريد أخاً - أي زيارة أخ لي مختصاً لي في هذه القرية ولعل تعيينها علم بالإشارة وأطنب في الكلام ليتضمن المرام على نوع من أسلوب الحكيم فكأنه قال له لا تسأل عن المحل واكتف بالسؤال عن الحال فإن هذا طريق أرباب الحال بلا محال "(٢) يقول الإمام الطيبي " قوله أريد أخاً لي فإن قلت كيف طابق هذا سؤاله بقوله أين تريد ؟ قلت من حيث إن السؤال يتضمن لقوله أين تتوجه ومن تقصد ؟ ولما كان قصده الأول الزيارة ذكره وترك ما لا يهم "(٣) ثم انظر إلى سؤاله الآخر - وهل لك من نعمة تربها ؟" أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك - كما ذكر النووي - (٤) أو تربها أي تملكها وتستوفيها وذلك إذا جعل الرب على الملكية أما إذا حمل على التربية والإصلاح فمعني تربها تقوم بها وتسعي في تتميتها وإصلاحها "(٥) وهذا السؤال يهدف إلى تقريره بنيته تركيزاً على فضل النية في الأعمال وإشارة إلى أن ما سوف يسوقه إليه من البشرى هو بفضل إخلاصه في هذه المحبة وتخلصها من شوائب المصالح الدنيوية فيأتي جوابه "

(1) وهو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة " ينظر الإيضاح للقزويني ٣٥١/١ ط دار إحياء العلوم بيروت ط رابعة ١٩٩٨م ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري تحقيق مفيد قميحة وجماعة ١٠٢/٧ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م وخزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي تحقيق عصام شعيتو ٢٧٤/١ ط دار ومكتبة الهلال بيروت ط أولي ١٩٨٧م .

(2) ينظر مرقاة المفاتيح ٣٠١/١٤ .

(3) ينظر شرح الطيبي ٢٣٣/٩ .

(4) شرح النووي ١٢٤/١٦ .

(5) ينظر شرح الطيبي ٢٣٣/٩ .

لا " بالنفي القاطع الصريح الذي يمنع تعلق الزيارة بأي غرض دنيوي ثم يستأنف كلامه يبين فيه مقصده والسبب الأساسي الذي ليس معه شيء آخر في هذه الزيارة " غير أنني أحببته في الله " و " غير " هنا استثنائية بمعنى " إلا " وهي مضافة لما بعدها والاستثناء منقطع^(١) وبعد أن تأكد الملك من نيته الصادقة وعدم تعلق هذه الزيارة بأي سبب آخر ساق له البشري مفصلاً عن شخصيته قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه وانظر إلي إكرام الله له والذي يوحى بعظمة هذه المنزلة التي نالها بسبب هذه المحبة حيث أرسل إليه رسولاً يخاطبه مباشرة دون سوق هذه البشري عن طريق نبيه أو بأي طريقة أخرى ، وعلى الجملة فقد أدت القصة - على قصرها - مغزاها ومقصودها من الترغيب في تصفية المحبة بين المتحابين وجعلها لله تعالى كما أنها بينت ما أعدده الله تعالى جزاء على هذه المحبة مما يدل على عظمة قدرها وكبير منزلتها كما أنها - أي القصة - على الرغم من قصرها قد اشتملت على كل العناصر الفنية اللازمة لبناء القصة فهي تقوم على أساس الترابط العضوي الذي يشد بعضه بعضاً كأنه خيوط غير منظورة تحقق التلاحم بين دعائم هيكلها الثلاث " الشخصية - الحدث - الحوار " ^(٢) وفي تأكيد الكلام للرجل مزيد اهتمام بحاله من الإنكار فكيف له أن يقبل هذا الكلام ولاسيما من ملك في صورة رجل فأكد له الكلام لهذا وفي تحقيق الفعل ما يدل على ذلك وبناء الجملة على الاسمية - بأن الله قد أحبك .. " أي أن هذا قد وجب وثبت وهو كذلك لا يتغير ما داومت على حالك من تصفية نفسك وتخليّة أغراضك والكاف في قوله : أحبك كما أحببته فيه قد تكون للتعليل والتعليل من معاني الكاف كما نص على ذلك النحويون ^(٣) وقد تكون للتشبيه ويكون الوجه أنه كما أحبه في الله من غير سبب

- (١) يراجع أوضح المسالك لابن هشام ص ١١٢ ط مطبعة محمد علي صبيح ط رابعة ١٩٦٨ م
(٢) ينظر القصص في الحديث النبوي د/ محمد حسن الزير ص ٧٦ ط المطبعة السلفية بالقاهرة ط أولي ١٩٧٨ م .
(٣) ينظر الجني الداني في حروف المعاني للمرادي ١٢/١ ، ومغني اللبيب لابن هشام ٤٠٩/١ تحقيق مازن المبارك ، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي تحقيق د/ عبدالرحمن سليمان ٧٦١/٢ ط دار الفكر العربي ط أولي ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م .

دنيوي كذلك فإن الله تعالى أحبه من غير باعث آخر من عمل أخروي قال النووي " قال العلماء محبة الله عبده هي رحمته له ورضاه عنه وإرادته له الخير وأن يفعل به فعل المحب من الخير وأصل المحبة في حب العباد ميل القلب والله تعالى منزّه عن ذلك "(١) وبذلك يكون البيان النبوي قد حقق مراده في توصيل هديه بهذه الطريقة طريقة القصة التي ركزت على جانب التشويق والترغيب وضمان الانتباه عن طريق الحوار والسؤال والجواب وأسلوب العرض والتلميح دون التعرض إلى المباشرة في الأسلوب والتي لا تجدي هنا كما يجدي أسلوب التشويق ، والله أعلم .

(1) شرح النووي ١٦/ ١٢٤ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله محمد - صلي الله عليه وسلم - قد أتم الله به النعمة إذ هدانا إلى طريق الله وأرشدنا إلى محبته ومحبة الصالحين من عباده ، وندبنا نحن المسلمين إلى اتباعه والافتداء بهديه فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن قومه ورسولاً عن دعوته ورسالته وعلى آله وصحبه الطيبين وسلم تسليماً .

وبعد فقد وفقني الله تعالى إلى إتمام هذا البحث والفراغ منه بعدما طوفت في بستان النبوة الماتع حول خصلة من خصال الإيمان لا يكمل الإيمان إلا بها ولا ينال العبد رضا ربه إلا من خلال تحصيلها والإخلاص فيها ألا وهي خصلة المحبة التي هي أفرض الواجبات إذ هي قلب العبادة المأمور بها ومخها وروحها وهي المنزل التي فيها تنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون وإلى عملها شمر السابقون وعليها تفاني المحبون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرّة العيون وهي أصل كل عبادة . وقد كان لتناول هذه المنزل وتلك الخصلة العظيمة في البيان النبوي مذاق خاص ومنحي فريد فرأينا البلاغة النبوية والصور البيانية قد تعددت وتنوعت اهتماماً بالغرض العام وتجلية له وكشفاً عن قيمة المقصود فيه وقد بدا لي - من خلال مسيرتي مع هذا البحث - بعض الاستنتاجات أجملها فيما يلي :

أولاً : لما كانت هذه الخصلة ألا وهي المحبة لا تتأني إلا إذا كانت بين شخصين حيث يعم نفعها وينمو أثرها وتعلو مكانتها وتؤتي ثمرتها رأينا البيان النبوي الشريف قد احتفل بهذا الأمر أيما احتفال حيث أثر التعبير عن هذه الخصلة بصيغة التفاعل نري ذلك واضحاً في الحديث الأول الذي تصدر البحث " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم .. حيث لم يقل في ودهم ورحمتهم وعطفهم وإيثاره هذه الصيغة كما بينت سابقاً تعني ضرورة اشتراك اثنين فيها حتى يحرص الطرفان على تميمتها ورعايتها فتورق وتنثر ويجني المجتمع منها الترابط والقوة ويحصل له منها التناصر والتآزر والتماسك وهكذا ينبغي أن يكون مجتمع الإيمان والملاحظ أن هذه الصيغة وهي التفاعل قد بنيت من مادة

المحبة فالتواد والتراحم والتعاطف كله يأرز إلى هذه الخصلة في مضمونها وفحواها وينص عليها وكذلك قوله - صلي الله عليه وسلم - " ما تحاب رجالن إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه " وقوله : " ولا تؤمنوا حتى تحابوا .. " وقوله أولاً أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم " وقوله : سبعة يظلهم الله في ظله .. ورجلان تحابا في الله ، وكذلك قوله تهادوا تحابوا ، وهذا من دقائق ولطائف التعبير النبوي وهو اختيار اللقطة المناسبة للمعني والتي تفوق في إيثارها واختيارها كل الكلمات المترادفة .

ثانياً : لما كانت النفوس البشرية تتنازعها أهواء كثيرة وتتوارد عليها أحوال متغايرة من القوة والضعف وما دون الضعف كان في تقبلها لحقائق الدين أحوال من التردد والشك ولا سيما حين يتعرض الأسلوب لحقيقة إيمانية لا يتعاطاها الناس إلا في أقل القليل فهي بالنسبة لهم حقيقة غائبة وقبول مثل هذه الحقيقة غير مسلم به للوهلة الأولى فتراه يحتاج إلى مزيد من التأكيد والتقرير وهذا ما احتذاه البيان النبوي الشريف في أسلوب القصر حين أراد أن يؤكد على حقيقة المحبة وأنها المكملة للإيمان ولا دخول للجنة إلا بعد حصولها وتحقيقها واكتمالها في نفس المؤمن وأن المؤمن لا يكون مؤمناً كاملاً الإيمان إلا بتحقيق محبة المؤمنين ، وأن المحبة إن كانت ووجدت فشرط قبولها أن تكون لله وحده غير متعلقة بغرض أو عرض أو عوض هذا ما نراه في النصوص النبوية الشريفة في قوله - صلي الله عليه وسلم - " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا بطريق القصر - كما تقرر - وقوله : ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، وقوله : ما تحاب رجالن إلا كان أفضلهما ... " وقوله : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه وقوله وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وقوله في حديث من زار أخاه في القرية " هل لك من نعمة تربها قال لا غير أن أحببته في الله وقوله في حديث السائل عن الساعة - وماذا أعددت لها قال لا شئ غير أنني أحب الله ورسوله وهكذا نجد أسلوب القصر قد سري في تأكيد هذه الحقائق وتقريرها ونهايك عن الإيجاز والاختصار تبعاً للتأكيد والتقرير وهو ما تتميز به جملة القصر ويعد سمة من سماتها .

ثالثاً : محاولة الكشف عن حقيقة الإيمان في نفس الإنسان والتأكيد عليها والتحقق منها واستثارة النفوس في تحصيلها واستخراجها وإعلانها وتنبيه النفوس إلى ما هو الأولي بالمتابعة والانشغال وما هو الأفضل أن يكون محط الرعاية والعناية كل هذا قد فض خاتمة البيان النبوي حين سلك هذه المسالك المتنوعة من خلال الاستفهام الذي جعله الكاشف عن حقيقة المحبة في النفوس والراصد لحركتها في القلوب والموجه لها والمنبه إليها والمتحكم في حركتها وسيرها كل ذلك قد جلاه البيان النبوي حين جعل من الاستفهام الوسيلة الخاصة لكل هذا ، وتابع إن شئت قوله - صلي الله عليه وسلم - للرجل الذي أحب أبا له ولم يعلم بذلك حينما رآه وقد أخبر النبي بذلك فسأله الرسول الكريم عن إعلامه إياه بهذا الحب أعلمته ؟ تحفيزاً لنفسه وتذليلاً له طريق الإعلام والبوح بهذا الحب وأن الإعلام له به هو الراعي والحافظ لهذا الحب وهو المنمي له وهو الغذاء الذي تقّات منه قلوب المحبين .

كذلك سلك الاستفهام طريق التشويق والترغيب في قوله - صلي الله عليه وسلم - أولاً أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ تحقيقاً لمراده من النفوس المسلمة والقلوب المؤمنة أن تستقرغ طاقتها في نشر السلام تحقيقاً للمحبة والوئام .

كذلك في سؤال النبي - صلي الله عليه وسلم - للسائل عن الساعة متى الساعة ؟ والعدول بالجواب إلى جهة أخرى غير متوقعة تنبيهاً وإرشاداً على ما هو الأهم بأن يسأل عنه ويتوجه له بالرغبة فما العبرة من معرفة أوان الساعة ووقت قيامها؟ إن لم تكن قد أعددت لها العدة وهيأت لها الركاب حتى تسير بسلام في مواجهة الحساب والعرض على الرحيم الرحمن وكأن البيان النبوي يشير إلى أن العدة التي تتخطي بها الصعاب وتتحصل بها على الثواب في هذا اليوم المهاب هو تحقيق التودد والتحاب بين أفراد المجتمع المسلم وذلك منطو عليه أسلوب الاستفهام وماذا أعددت لها ؟

وكذلك في سؤال الملك للرجل الزائر أخاه أين تريد ؟ خروجاً للكلام على مقتضى الظاهر بأسلوب الحكيم وكذلك قوله هل لك من نعمة تربها محاولة لاستخلاص المحبة لله وقطع أي غرض يتعلق بها دون التوجه بها إلى الله ذلك لأن الثواب لا يتعلق بالمحبة مجردة من متعلقاتها بل يتعلق بالمحبة موقوفة على

الله وحده بالله والله وفي الله ولا يقبل حب إلا إذا كان خالصاً لوجه الله تعالى ولهذا كان سؤال الملك هل لك من نعمة تربها ؟ دالاً على ذلك ومؤدياً ما هنالك

رابعاً : الهدى النبوي يقوم تركيزه وينصب اهتمامه على الأعمال وقيم جزاءه ثواباً وعقاباً عليها ، والأعمال كما هو معلوم أعمال للجوارح وأعمال للقلوب والخصلة التي معنا من أعمال القلوب الصرفة وما عمل الجوارح فيها إلا نزر يسير وما هو إلا تابع لما في قرار القلب فحركات الجوارح مصرفة على ما في القلوب ولهذا لم يحتفل البيان النبوي بالأشخاص ولم يعول عليهم ولم يول ذكرهم اهتماماً فنراه يكتفي عن الشخص المعروف لديه بقوله " رجل " صارفاً الأذهان إلى عمله لا إلى شخصه معلياً من قيمة العمل في الإسلام سواء أكان عملاً قلبياً أم عملاً بدنياً فيقول : أن رجلاً كان عند النبي - صلي الله عليه وسلم - فمر به رجل فقال يا رسول الله إني لأحب هذا ... وقوله : ما تحاب رجلان في الله .. أيّ رجلين سواء كانا من الصحابة في عهده - صلي الله عليه وسلم - أم في عهد التابعين أم في زماننا نحن فالحديث دائم العطاء لكل أتباع هذا الدين الحنيف فمن حقق هذه المحبة خالصة لوجه الله تعالى لم تكن لغرض دنيوي ولا مصلحة شخصية - نال بها أعلى الدرجات وفاز بكل القربات وهذا إنما تنامي فهمه من عدم التنصيص أو التخصيص لمن باشر هذا الفعل أو من رغب فيه .

كذلك قوله - صلي الله عليه وسلم - أتني النبي - صلي الله عليه وسلم - رجل فقال يا رسول الله دلني على عمل .. وقوله : أن رجلاً سأل النبي - صلي الله عليه وسلم - عن الساعة ؟ وقوله : في السبعة تحت ظل العرش ورجلان تحابا في الله وقوله : أن رجلاً زار أخاه في قرية .. كل هذا ليرشد وينبه ويلفت الأنظار إلى العمل مجرداً دون النظر إلى من قام به ومن فعله وهذا لفت للأهم وتنبيه على الأولى .. كان هذا من النتائج التي سنحت لي في ثنايا هذا البحث ويضم لها ما وقفت عليه بالتحليل من الدقائق والأسرار في داخل هذا البحث .

وأخيراً .. أقول قد بذلت في هذا البحث جهدي وطاقتي - علم الله - ولم أدخر فيه وسعاً وما كان فيه من صواب وحسن فمن الله العليّ القدير فهو الموفق وهو

المعين وما كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان والمرء مأخوذ من قوله
ومتروك والمعصوم من عصم الله تعالى من رسله وأنبيائه ولا أملك إلا أن
أضرع إلى الله تعالى بالدعاء أن يلهمنا رشدنا وأن يرزقنا حبه وحب من يحبه
وحب كل عمل يقربنا إلى حبه إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العالمين .

وكتبه

علي محمد عبد الرحيم محمد علي

المدرس بجامعة الأزهر الشريف

كان الله له وللوالدين وللمسلمين أجمعين

ثبت المصادر والمراجع

- ١- الآداب الشرعية والمنح المرعية لأبي عبدالله المقدسي تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٢- الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية لمحمد منير أغا الدمشقي ط دار ابن كثير دمشق بيروت .
- ٣- إحياء علوم الدين للغزالي ط دار المعرفة بيروت .
- ٤- أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ط المكتبة التجارية مصر ط رابعة ١٩٦٣م .
- ٥- الأدب المفرد للبخاري تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط دار البشائر الإسلامية ط الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم لأبي السعود ط دار الفكر بدون .
- ٧- أساس البلاغة للزمخشري تقديم د/ محمود فهمي حجازي ط الهيئة المصرية لقصور الثقافة ط ٢٠٠٣م .
- ٨- الإطناب أنواعه وقيمه البلاغية د/ محمود شاکر القطان ط مكتبة التراث بالمدينة المنورة ط أولي ١٩٨٦م .
- ٩- الإطناب في البلاغة العربية د/ فرج محمد فرج طبع ونشر مصر للخدمات العلمية بدون .
- ١٠- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض .
- ١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ط مطبعة الحلبي بمصر ط ثانية ١٩٦٨م .
- ١٢- أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم المدني تحقيق شاکر هادي شكر ط مطبعة النعمان والهادي الأشرف بالعراق ط أولي ١٩٦٩م .
- ١٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ط دار الجيل بيروت ط خامسة ١٩٧٩م ، وط مطبعة محمد علي صبيح ط رابعة ١٩٦٨م .
- ١٤- الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني تحقيق د / عبدالقادر حسين محمد ط مكتبة الآداب ، و ط دار إحياء العلوم بيروت ط رابعة ١٩٩٨م .
- ١٥- الإيمان لابن تيمية تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ط المكتب الإسلامي عمان الأردن ط خامسة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ١٦- البحر المديد لابن عجيبة ط دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ١٧- البداية والنهاية لابن كثير ط مكتبة المعارف بيروت .
- ١٨- بداية الهداية لأبي حامد الغزالي .
- ١٩- بديع القرآن لابن أبي الأصعب المصري تحقيق د / حفني محمد شرف ط نهضة مصر بدون .
- ٢٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي .

- ٢١- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها /د/ عبدالرحمن الميداني .
- ٢٢- البلاغة الفنية /د/ علي الجندي ط ثانية ١٩٦٦م .
- ٢٣- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ط دار التراث بالقاهرة .
- ٢٤- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين ط دار الهداية .
- ٢٥- تاريخ دمشق لابن عساكر ط دار الفكر بيروت لبنان ط أولي ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ٢٦- تحفة الأحوذى للمباركفوري ط دار الكتب العلمية بيروت .
- ٢٧- التحفة الربانية شرح الأربعين النووية للشيخ إسماعيل الأنصاري ط مكتبة الإمام الشافعي ط أولي ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٢٨- التصوير الفني في الحديث النبوي /د/ محمد لطفي الصباغ ط المكتبة الإسلامية بيروت ط أولي ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- ٢٩- التصوير الفني في القرآن سيد قطب .
- ٣٠- تفسير البغوي تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ط دار طيبة للنشر والتوزيع ط رابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- ٣١- تفسير الثوري لسفيان الثوري ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٣٢- تفسير روح المعاني للآلوسي ط دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ٣٣- تفسير القرطبي ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٣٤- تفسير النيسابوري تحقيق الشيخ زكريا عمران ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ٣٥- تهذيب الأسماء واللغات للنووي تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا .
- ٣٦- تهذيب اللغة للأزهري تحقيق محمد عوض مرعب ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط أولي ٢٠٠١م .
- ٣٧- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي تحقيق د/ عبدالرحمن سليمان ط دار الفكر العربي ط أولي ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .
- ٣٨- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي تحقيق محمد رضوان الداية ط دار الفكر المعاصر ودار الفكر بيروت دمشق ط أولي ١٤١٠هـ .
- ٣٩- التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ط مكتبة الإمام الشافعي بالرياض ط ثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٤٠- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي تحقيق ماهر ياسين الفحل .
- ٤١- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ط دار المعرفة بيروت ط أولي ١٤٠٨هـ .
- ٤٢- الجني الداني في حروف المعاني للمرادي تحقيق فخر الدين قبالة ط دار الكتب العلمية .
- ٤٣- جواهر البلاغة للهاشمي تقديم حسن نجار محمد ط مكتبة الآداب ط ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ٤٤- جواهر القاموس للزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين ط دار الهداية .

- ٤٥- الجواهر الهريرية لأبي يوسف محمد زيد ط ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
- ٤٦- حاشية السندي على ابن ماجة .
- ٤٧- حاشية السندي على النسائي تحقيق عبدالفتاح أبوغدة ط مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ط ثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
- ٤٨- حاشية الصبان ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
- ٤٩- حاشية الصبان على الأشموني ط دار إحياء الكتب العربية .
- ٥٠- الحب بين الله وعباده نبيل عطوة .
- ٥١- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية د/ عز الدين على السيد ط دار اقرأ ط أولي ١٤٠٠هـ ١٩٨٤م .
- ٥٢- حلية الأولياء لأبي نعيم ط دار الكتاب العربي بيروت .
- ٥٣- خزائن الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي تحقيق عصام شعيتو ط دار ومكتبة الهلال بيروت ط أولي ١٩٨٧م .
- ٥٤- خصائص التراكم د/ محمد أبو موسي ط مكتبة وهبة ط خامسة ١٤٤١هـ ٢٠٠٠م وط سابعة .
- ٥٥- خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي ط دار نهضة مصر ط أولي .
- ٥٦- الداء والدواء لابن القيم تحقيق لجنة من المحققين بمؤسسة الهادي دار التقوي للتراث ط أولي ٢٠٠٠م .
- ٥٧- الداء والدواء لابن القيم دار الكتب العلمية بيروت .
- ٥٨- دلائل الإعجاز عبدالقاهر الجرجاني تحقيق د/ محمد التتحي ط دار الكتاب العربي بيروت ط أولي ١٩٩٥م .
- ٥٩- دلائل الإعجاز - عبدالقاهرة الجرجاني تعليق الشيخ شاکر ط دار المدني بجدة ط ثلاثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
- ٦٠- دليل الفالحين لشرح رياض الصالحين لابن علامة .
- ٦١- الديباج على مسلم للسيوطي تحقيق أبي إسحاق الحويني ط دار ابن عفان السعودية الخبر ط أولي ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .
- ٦٢- رسالة العبودية لابن تيمية .
- ٦٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم تحقيق عبدالله المنشاوي ط مكتبة الإيمان - المنصورة .
- ٦٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
- ٦٥- سنن ابن ماجة تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي ومزيلة بأحكام الألباني عليها ط دار الفكر بيروت .
- ٦٦- سنن أبي داود تعليق الألباني ط دار الكتاب العربي بيروت .

- ٦٧- سنن البيهقي الكبرى تحقيق محمد عبدالقادر عطا ط مكتبة دار الباز مكة المكرمة ط ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ٦٨- سنن البيهقي ط مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ط أولي ١٣٤٤هـ .
- ٦٩- سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر وآخرين ط دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ٧٠- سنن النسائي تحقيق عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولي ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٧١- شرح التسهيل لأبي حيان الأندلسي تحقيق عبدالرحمن السيد ط مطبعة هجر ط أولي ١٩٩٠م .
- ٧٢- شرح الشاطبية (إبراز المعاني من حرز الأمان) في القراءات السبع لأبي شامة .
- ٧٣- شرح صحيح البخاري لابن بطلان تحقيق أبوتيميم ياسر بن إبراهيم ط مكتبة الرشد السعودية الرياض ط ثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- ٧٤- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح للإمام الطيبي ط دار الكتب العلمية ط أولي ٢٠٠١م .
- ٧٥- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد تحقيق محمد عبدالكريم النمري ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ٧٦- شروح التلخيص ط دار الكتب العلمية بيروت .
- ٧٧- شواهد التوضيح والتصحيح على مشكلات الجامع الصحيح لابن مالك تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط دار العروبة .
- ٧٨- الصحاح للجوهري ط دار العلم للملايين ط رابعة ١٩٩٠م .
- ٧٩- صحيح ابن حبان تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت ط ثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- ٨٠- صحيح البخاري تحقيق محمد زهير ناصر الناصر ط دار طوق النجاة ط أولي ١٤٢٢هـ .
- ٨١- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط دار الجيل + دار الآفاق الجديدة بيروت .
- ٨٢- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي تحقيق محمود محمد الطناحي ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط ثانية ١٤١٣هـ .
- ٨٣- الطبقات الكبرى لابن سعد تحقيق إحسان عباس ط دار صادر بيروت ط أولي ١٩٦٨م .
- ٨٤- طريق الهجرتين وباب السعادت لابن القيم تحقيق عمر بن محمود أبوعمر ط دار ابن القيم الدمام ط ثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ٨٥- عروس الأفراح للسبكي - ضمن الشروح - ط دار الكتب العلمية بيروت .
- ٨٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني .

- ٨٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ط دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية ١٤١٥هـ .
- ٨٨- العين للخليل الفراهيدي تحقيق د/ مهدي المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي ط دار مكتبة الهلال .
- ٨٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري تحقيق الشيخ / زكريا عمران ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .
- ٩٠- الفائق في غريب الحديث للزمخشري تحقيق على الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعرفة لبنان ط ثانية .
- ٩١- فتح الباري لابن حجر تحقيق ابن باز ومحب الدين الخطيب .
- ٩٢- فتح الباري لابن حجر ط دار المعرفة بيروت .
- ٩٣- فتح الباري لابن رجب تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله ط دار ابن الجوزي السعودية الدمام ١٤٢٢هـ .
- ٩٤- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري .
- ٩٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ط المكتبة التجارية الكبرى مصر ط أولى ١٣٥٦هـ .
- ٩٦- قاعدة في المحبة لان تيمية تحقيق د / محمد رشاد سالم ط مكتبة التراث الإسلامي القاهرة .
- ٩٧- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً لسعدي أبوجيب ط دار الفكر دمشق سورية ط ثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
- ٩٨- القاموس المحيط للفيروز آبادي .
- ٩٩- القصص في الحديث النبوي د/ محمد حسن الزير ط المطبعة السلفية بالقاهرة ط أولى ١٩٧٨م .
- ١٠٠- الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع لصفي الدين الحلبي ط مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط ١٩٨٣م .
- ١٠١- الكتاب لسيبويه تحقيق عبدالسلام هارون ط دار الجيل بيروت .
- ١٠٢- كتاب الزهد الكبير للبيهقي تحقيق عامر أحمد حيدر ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٩٩٦م .
- ١٠٣- الكشف للزمخشري تحقيق عبدالرازق المهدي ط دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ١٠٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني ط دار إحياء التراث العربي .
- ١٠٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي تحقيق على حسين البواب ط دار الوطن الرياض ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
- ١٠٦- الكليات لأبي البقاء الكفومي تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ط مؤسسة الرسالة بيروت ط ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .
- ١٠٧- كنوز من السنة للشيخ محمد الغزالي ط دار نهضة مصر ط أولى .

- ١٠٨- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت .
- ١٠٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥ م .
- ١١٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي بتحريه الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر ط دار الفكر بيروت ط ١٤١٢هـ ١٩٩٢ م .
- ١١١- المجموع شرح المذهب للنووي ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ١١٢- المحاسن والأضداد للجاحظ ط مكتبة الخانجي القاهرة مصر ط ثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
- ١١٣- المحيط في اللغة لابن عياد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ط عالم الكتب بيروت لبنان ط أولي ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
- ١١٤- مختصر السعد التفتازاني ط دار الفكر ط أولي ١٤١١هـ .
- ١١٥- المخصص لابن سيده تحقيق خليل إبراهيم جفال ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط أولي ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .
- ١١٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم تحقيق محمد حامد الفقي ط دار الكتاب العربي بيروت ط ثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .
- ١١٧- مرقاة المفاتيح للمباركفوري .
- ١١٨- المزهري في علوم العربية وأنواعها للسيوطي تحقيق فؤاد علي منصور ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولي ١٩٩٨م .
- ١١٩- المستدرك على الصحيحين للحاكم تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولي ١٤١١هـ ١٩٩٠م .
- ١٢٠- مسند أبي يعلى تحقيق حسين سليم أسد ط دار المأمون للتراث دمشق ط أولي ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
- ١٢١- مسند أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين ط مؤسسة الرسالة ط ثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .
- ١٢٢- مسند الشهاب القضاعي تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي ط مؤسسة الرسالة بيروت ط ثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .
- ١٢٣- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي .
- ١٢٤- مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني .
- ١٢٥- المصباح المنير للفيومي ط المكتبة العلمية بيروت .
- ١٢٦- مصنف بن أبي شيبة تحقيق كمال يوسف الحوت ط مكتبة الرشد الرياض ط أولي ١٤٠٩هـ .
- ١٢٧- المطول للتفتازاني ط دار الكتب العلمية ط أولي ٢٠٠١م .
- ١٢٨- معالم السنن للخطابي .
- ١٢٩- المعجم الوسيط للطبراني تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن إبراهيم الجسيني ط دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ .

- ١٣٠- المعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ط مكتبة العلوم والحكم
الموصل ط ثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
- ١٣١- المغني لابن قدامة ط دار الفكر بيروت ط أولي ١٤٠٥هـ .
- ١٣٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تحقيق مازن المبارك ومحمد علي
حمد الله ط دار الفكر بيروت ط سادسة ١٩٨٥م .
- ١٣٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ط دار القلم دمشق .
- ١٣٤- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي .
- ١٣٥- مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبدالسلام هارون ط دار اتحاد الكتاب العربي ط
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ١٣٦- مناهج البحث في اللغة د تمام حسان ط الدار البيضاء ط ١٩٧٤م .
- ١٣٧- مناهج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم ط مؤسسة قرطبة ط
أولي ١٤٠٦هـ .
- ١٣٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ط دار إحياء التراث العربي ط
ثانية ١٣٩٢هـ .
- ١٣٩- مواهب الفتح لليعقوبي - ضمن الشروح - ط دار الكتب العلمية بيروت .
- ١٤٠- موطأ مالك تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ط مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان
ط أولي ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- ١٤١- ميزان الاعتدال للذهبي تحقيق علي البجاوي ط دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .
- ١٤٢- النحو الوافي - عباس حسن ط دار المعارف ط الخامسة عشرة .
- ١٤٣- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج بن الجوزي تحقيق
محمد عبدالكريم كاظم الراضي ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط أولي ١٤٠٤هـ -
١٩٨٤م .
- ١٤٤- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري تحقيق مفيد قميحة وجماعة ط دار الكتب
العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- ١٤٥- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري تحقيق طاهر الزاوي ومحمود
الطناحي ط المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ١٤٦- هذا ديننا للشيخ محمد الغزالي ط دار نهضة مصر ط أولي .